وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعـــــة مـــيســـــــــــــان

كليـــــــة التربية

قســـــــم اللغة العربية

ثنائية الحياة والموت في الشعر الجاهلي

بحث مقدم إلى مجلس كلية التربية في جامعة ميسان

وهو كجزء من متطلبات نيل شهادة بكالوريوس في اللغة العربية .

اعداد الطالب

علي رحيم بدن

بأشراف

م.م زهراء سعد حسين

١٤٤٥ هـ

٢٠٢٤ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ
مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

سورة : الجمعة الآية:٨

صَدَقَ اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ

الإهداء

إلى أشرف الخلق وأول معلم في الأمة

رسولنا الحبيب محمد بن عبد الله (صل الله عليه وآله وسلم)

إلى قدوتي في كل تفاصيل الحياة

مولانا علي بن أبي طالب (عليه السلام)

إلى من علَّمني كيف أقف بكل ثبات فوق الأرض

أبي المحترم

إلى نبع المحبة والإيثار والكرم.

أمي الموقَّرة

إلى جميع من تلقَّيتُ منهم النصح والدعم

أهديكم خلاصة جُهدي العلمي

شكر وتقدير

لا يسعفني بعد الانتهاء من إعداد هذا البحث الا أن أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى صاحبة القلب الكبير، والنفس الطويل، والعلم الوفير، التي غمرتني بعطفها ورعتني بحسن توجيهها وإرشادها، أستاذتي الفاضلة الأستاذ زهراء سعد حسين التي تفضلت بالإشراف على هذا البحث، اذ قدمت لي كل النصح والإرشاد طوال مدة الإعداد، وعلى ما بذلته من جهد متواصل ونصح وتوجيه من بداية مرحلة البحث حتى إتمامه، ومهما كتبت من عبارات وجمل فأن كلمات الشكر تظل عاجزة عن إيفاء حقها، فجزاها الله علي خير الجزاء، وجعل ذلك في ميزان حسناتها، فلها مني كل الشكر والتقدير .

وأتقدم بالشكر والتقدير إلى عمادة كلية التربية جامعة ميسان، كما أشكر الأستاذ الدكتور محمد مهدي حسين، رئيس قسم اللغة العربية على جهده المتواصل في تذليل العقبات أمام الطلبة.

كما وأتقدم بجزيل الشكر والعرفان الى كل أساتذة قسم اللغة العربية ممن علموني طوال مسيرتي التعليمية والذين أسدوا إلي الجميل بتقديم يد المساعدة العلمية والمعنوية لهم مني كل الشكر والتقدير.

والحمد لله رب العالمين أولا وآخر ، ظاهرا وباطنا، عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة محتويات

ت	عنوان الموضوع	رقم الصفحة
	الواجهة	-
	الآية	أ
	الإهداء	ب
	شكر و تقدير	ج
	المقدمة	١-٢
الفصل الاول		
	التمهيد	٤-٥
	المبحث الاول- مواقف الشاعر الجاهلي من الحياة	٦-١١
	المبحث الثاني – مواقف الشاعر الجاهلي من الموت	١٢-١٧
الفصل الثاني		
	الفصل الثاني – أشكال الموت في الشعر الجاهلي	١٩-٢٧
الفصل الثالث		
	الفصل الثالث – الصورة الفنية لثنائية الحياة والموت	٢٩-٣٦
	الخاتمة	٣٧-٣٨
	المصادر والمراجع	٣٩-٤٣

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الذي سَخَّر لنا سُبل الهداية والعلم، أَحْمَدُهُ حَمْدًا كثيرًا، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة وأتم التسليم على المصطفى الأمين سيدنا محمد خير البرية أجمعين وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين ومن تبعه إلى يوم الدين.

بعد أن وفقني الله في إتمام المرحلة الرابعة من الدراسات الأولية،طلب مني تسجيل موضوع يصلح لدراسة البكلوريوس، وبعد استشارة أساتذتي في الكلية، جاء إختيار موضوع " ثنائية الحياة والموت في الشعر الجاهلي " من قبل الأستاذة زهراء سعد حسين الذي كان لها الفضل في اختياره ، وتحديد مسارات الدراسة فيه، وبعد التأكد من أن هذا الموضوع لم يُدرس، ولم يُسجل تم إقرار الموضوع فقام البحث على تسليط الضوء على قضية الحياة والموت عند الشعراء الجاهليين، وبيان خصائص الخطاب الشعري الذي تمثلت فيه ثنائية الحياة والموت عنده والوقوف على تأثير البيئة الاجتماعية والسياسية في هذا الخطاب، الذي تراوح ما بين الإقبال الشديد على الحياة والاغتراف من ملذاتها في القصائد التي كتبها "الشعراء الجاهليين" وهي القصائد التي حفلت بالغزل والتشبب بالنساء وذكر الخمرة ، والتي تأخذت جانباً كبيرا من اهتمامهم وجانبا واسعا من شعرهم .

وقد مثلت قضية الموت في القصائد الشعرية في العصر الجاهلي محورًا مهماً من محاور هذا الخطاب، حتى أصبحت ملحماً مهماً في كثير من الدواوين الشعرية، ونظرة لتراثنا الشعري تطلعنا على أن الشعر الجاهلي تضمن قصائد كاملة عكست ثنائية الموت والحياة في تفكير الشاعر الجاهلي، بما يستتبع ذلك من رثاء الأحبة، والتعبير عن قلقه من المصير المحتوم.

وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن يكون البحث في ثلاثة فصول يتقدمها تمهيد وتتلوها خاتمة، وفي التمهيد تناولت ثنائية الحياة والموت ، التي كانت من الموضوعات الحاضرة في أثناء قصائد الشعراء في العصر الجاهلي، واحتلت مساحة واسعة من اهتمامهم، وهم يواجهون تحديات الحياة من حروب وبيئة صحراوية.

وجاء الفصل الأول بعنوان (مفهوم الحياة والموت في الشعر الجاهلي) وتضمن مبحثين كان الأول بعنوان (موقف الشاعر الجاهلي من الحياة) والثاني بعنوان (موقف الشاعر الجاهلي من الموت)، وفيه حاولت الوقوف على كيفية تمثل حب الحياة وذمها في قصائد الشاعر الجاهلي

أما الفصل الثاني فجاء بعنوان (أشكال الموت في الشعر الجاهلي) وتضمن ثلاث اشكال : كان الأول بعنوان (موت الأب)، والثاني بعنوان (موت الأحبة)، وجاء المبحث الثالث بعنوان (موت الأخ)، حيث حاولت ان اجمع اشكال الموت العديدة في الشعر الجاهلي واقتصر على هذه الأشكال الثلاثة.

وعني الفصل الثالث بدراسة (الصورة الفنية لثنائية الحياة والموت) وجاء في ثلاثة اقسام كان الأول بعنوان (التشبية) والثاني (الإستعارة) والثالث بعنوان (الكناية)، وفيه حاولت أن أبين الصورة الفنية وتوضيفها عند ذكر الحياة والموت في قصائد الشعراء الجاهليون بإستخدام الأغراض الثلاث المتمثة في التشبية،الكناية ، الإستعارة.

ولم تخل مسيرة البحث من صعوبات قد اعترضت الطريق يقف في طليعتها قلة المصادر التي تناولت ذكر الحياة والموت في القصائد الجاهلية، ولكن هذه الصعوبة قد ذللت بتوجيهات الأستاذة المشرفة وخبرتها ودقة ملاحظاتها.

وقد اعتمدت الدراسة على مصادر تُعد دراسات سابقة لموضوع بحثنا منها ما تناولت موضوع الحياة والموت وكان في مقدمة هذه المصادر الحياة والموت في الشعر الجاهلي المصطفى عبد اللطيف جياووك، والموت في الشعر الجاهلي لحسن عبد السلام، وشعر الوقوف على الأطلال من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث لعزة حسن، وكتاب في تاريخ الأدب الجاهلي لعلي الجندي، وقد كان للدواوين الشعرية أهمية بالغة ومنها ديوان الشاعر عدي بن زيد و ديوان آمرىء القيس، وديوان طرفة بن العبد، فضلاً عن الدواوين الشعرية الأخرى.

وفي الختام أتقدم بوافر الشكر والعرفان ، إلى أستاذتي المشرفة م.م زهراء سعد حسين، وإلى كل من ساعدني في إتمام هذا البحث فكانوا نعم العون لي لما قدموه من جهود جمة وملاحظات قيمة، فأسال الله العلي القدير أن يجازيهم عن هذا العمل وسائر أعماله خير ما يجزي به الله عبداً عن عمل، ولا انسى لجنة المناقشة التي تجشمت عناء القراءة وتصويب ما وقعت فيه من هنات بما يمكن أن يكون لي زاداً في مسيرتي العلمية، وأتوجه بالشكر والتقدير إلى رئيس القسم الدكتور محمد مهدي الغراوي ومقرر القسم الدكتور باسم محمد الحلفي، والدعاء للعلي القدير أن يجزيكم كل خير وأن يجعل ما قدمتوه لي في موازين حسناتكم إنه على ذلك لقدير ، وأسال الله التوفيق فيه نستعين.

والحمد الله رب العالمين

التمهيد

ثنائية الحياة والموت

التمهيد

ثنائية الحياة والموت

إن الحياة والموت من أكثر الثنائيات الضدية حضوراً في العقائد الإنسانية، تبدأ مع ولادة الإنسان وتستمر معه الى وفاته، ولها تصور واضح المعالم، يجمع معانيها الحقيقية والمجازية، ويحصر دلالاتها بما يجعل الوعي الإنساني بحدودها وتفرعاتها وأهدافها وتنوعاتها دقيقا، وقد حار الجاهليون مثلما حار غيرهم في تفسير ظاهرة الموت، وكيفية وقوع الموت وحدوثه، وقد عده بعضهم حدثا طبيعيا، يحدث للإنسان مثلما يحدث لأي شيء آخر في هذا الكون من التعرض للهلاك والدمار، وعده بعضهم الآخر ، مفارقة الروح للجسد وهم الذين اعتقدوا بالثنائية والازدواجية في حياة الإنسان، أي بوجود جسد وروح وعده آخرون موتا للنفس، وبوفاة النفس يتوفى الجسد ويصيبة السكون، فالموت عندهم مفارقة الروح للجسد، فإذا مات الإنسان خرجت روحه من أنفه، أو من فمه، فينفض الإنسان نفسه[1]

الحياة والموت لغة:

ورد في لسان العرب معنى الحياة ضد الموت في قوله : (الحياة) نقيض الموت والحي نقيض الميت.. والجمع : أحياء ، والحي كل متكلم ناطق، والحي من النبات من كان طريا يهتز ، وقوله تعالى :(وما يستوي الأحياء ولا الأموات) (سورة فاطر : الآية ٣٥)

ويقال (حياه) الله أي أبقاه أو ملكه ويقال : فسره ثعلب فقال : (الحي هو المسلم والميت هو الكافر)،[2] حياك وأبقاك[3] . ويرد أصل الموت في كلام العرب إلى السكون وكل ما سكن فقد مات ويقال : (ماتت النار موتاً برد رمادها فلم يبق من الجمر شيء وماتت الريح ركدت وسكنت) . وقد يُطلق الموت ويراد به العقل والإيمان[4] نحو قوله تعالى : (أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في النَّاسِ) سورة الأنعام آية ١٢٢

[1] ينظر المفضل في تاريخ العرب قبل الاسلام، الدكتور جواد علي ، ج١١ ، دار الساقي ، ص١٢٣
[2] لسان العرب : لأبن منظور الأنصاري ، تح عامر أحمد حيدر ،مراجعة : عبد المنعم خليل إبراهيم ، دار الكتب العلمية ، مادة / الحيا
[3] ينظر: القاموس المحيط،للفيروزآبادي ، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ص ١٢٧
[4] لسان العرب : المصدر السابق ،مادة / موت

الحياة والموت اصطلاحاً

عرف الجرجاني (ت (٨١٧هـ) الحياة أنها : صفة توجب للموصوف ان يعلم ويقدر . والحياة الدنيا هي ما وعرف الموت انه صفة وجودية خلقت ضداً للحياة يشغل العبد عن الآخرة[٥]

واتسمت نظرة الفلاسفة للحياة والموت بالتضاد وهي عندهم نوعان جسدي ونفسي و (الحياة الجسدانية ليست شيئاً سوى استعمال النفس الجسد ، والموت الجسداني ليس شيئاً سوى تركها استعماله ، كما أن اليقضة ليست شيئاً سوى استعمال النفس الحواس وليس النوم شيئاً سوى تركه استعمالها)[٦]

ولذا، يمكن ان نؤكد أن جدلية الحياة والموت أحتلت مساحة واسعة من اهتمام الشعراء في العصر الجاهلي، وكانت من الموضوعات الحاضرة في ثنايا قصائدهم وهم يواجهون تحديات الحياة من حروب وبيئة صحراوية مثلت في كثير من الأحيان عدواً يتربص بهم، وقد ارتبطت هذه الجدلية برؤية الشعراء للوجود وما حملوه من مشاعر وانفعالات اتجاه ما يحيط بهم من أحداث، ولم تكن هذه الرؤية منغلقة بل هي رؤية واسعة متنوعة الجوانب ومركز اهتمامها الإنسان، وهذه الرؤية تكشف مدى انعكاس الموت على رغبة الشعراء في التمتع بالحياة، والبحث عن أسراها، وتحدي الموت، وهذا ما وجدناه في القصائد المقطوعات أو الأبيات التي وقفنا عندها ، وإذ كانت الحياة متمثلة في الأخلاق والطبيعة والارتباط بالقبيلة، والدفاع عنها، والتفاعل مع البيئة، واستثمارها في التعبير عن هموم الشعراء، ومشاعرهم والإجابة عن الاسئلة التي تنطلق من قلقهم الوجودي ، وهذا ما نجده عند أهم الشعراء في الجاهلية، فإن الموت ظل يحاصر الشاعر في واقعه وحياته وتفكيره ومشاعره وانفعالاته حتى في لحظات التمتع بلذة الحياة، إذ يبدأ من الشيب الذي كان نذيراً بأفول وهج الحياة، فوقف عنده الشعراء طويلا، وانتهاء بالقبر الذي اختلفت الآراء حوله، أهو موت أبدي، أم عودة للحساب والعقاب، لكن أفكارهم عنه تميزت بالقوة والأصالة الفكرية المتمثلة في قدرة الأفراد على إعادة اكتشاف الحقائق الحياتية والأبدية[٧]

---

[٥] التعريفات : للجرجاني ، تح محمد المرعشي ، دار النفائس ،ص٨٣

[٦] المصدر نفسه،ص٨٣

[٧] ينظر : تجليات الحياة والموت في الشعر الجاهلي : محمد فواز الناشر : رابطة الأدب الحديث. بحوث ومقالات ٢٠٠٦ص ١٥٠

الفصل الأول

مفهوم الحياة والموت في الشعر الجاهلي

المبحث الأول

موقف الشاعر الجاهلي من الحياة:

الإنسان القديم حينما يفقد الآخر يفقد ذاته لأنّنا في كثير من الأحيان نجد أنّ الآخرهو الذي يبعث في الإنسان الفرح و النشوة وحب الحياة، فإذا رحل الآخر فالإنسان يشعر بوحدته و غربته في هذا الكون، ومن هنا يراوده الإحساس بالزوال.لأنّ الآخر هو الذي كان يشغل باله ويحسّه بحلاوة الحياة. (فالإنسان موقن أنّ الموت قدر يستهدف الحياة فهو لا يستطيع الفرار منه في كل الأحوال لذا فالحياة مضمون إيجابي ، يقابل الموت الذي هو مجرد و مضمون سلبي)[٨] لأن الحياة هي مكمن الآمال و الأحلام و هي التي تبعث الفرح و السعادة في النفس الإنسانية وتشغل بالها عن الموت ،و تجعلها راغبة في الخلود في الدنيا ، على عكس الموت الذي يعمل على وأد تلك الأحلام و الآمال و يشعر الناس بالحزن وفقدان الثقة في الدنيا، و بذلك أحبّ الإنسان الحياة، و عاشها بكلّ نشاط و حيوية و تعلّق بها تعلّقا شديدا و شغف بها، و هذا ما جعله يفكر في مصيره و حتميّة الأقدار, (لذا وجدنا بعض الشعراء لهم مذهب خاص في العيش يقوم على أساس أن القيمة الحقيقة للحياة تكمن في حياة اللهو و المجون)[٩]ثم إن الموت أمر حتمي ليس على الإنسان فقط بل على سائر المخلوقات الأخرى، لذلك يخاف كّل إنسان من الموت، لأنّ في الموت جوانب كثيرة مجهولة غامضة و الشاعر حينما تمتد به الحياة و تدنو ساعته يتحدّث عن الموت حديث الواعظ داعيا إلى ترك ملذّات الحياة الدّنيا، و الاعتبار بأحوال الآخرين ممن تركوا الدنيا و لم ينالوا سوى القبر.فالشاعر يرى في الشيخوخة الموت وقرب الأجل.و من ثمة إنّ الموت صار شيء طبيعي له فلسفته، ولكن الإنسان و بتقدم العمر و ظهور علامات الشيب و الشيخوخة، يكون قد تسلّم أولى رسائل الموت و مظاهرها و من هنا نستنتج : (أن الشاعر الجاهلي كثيرا ما نراه و باقتراب شيخوخته يبكي شبابه بل و يذهب إلى أبعد من ذلك فيعدّ الشيّخوخة معنى مرادفا للموت نفسه لأنه يحسّ باقتراب أجله و انتهاء حياته).فيما روي عن الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم(قوله

[٨] ينظر :القيم الجمالية في الشعر الأندلسي : عصري الخلافة والطوائف ، آزاد محمد كريم الباحلاني ، دار غيداء ط١ عمان ، الأردن ، ٢٠١٣، ص.٢١٤

[٩] القيم الجمالية في الشعر الأندلسي : عصري الخلافة وملوك الطوائف ، آزاد محمد كريم الباجلاني ، المرجع السابق

ما من أحد من الأولين والآخرين إلا وهو يتمنى يوم القيامة أنه لم يعط من الدنيا إلا قوتاً)[١٠]. وما هذه الأمنية أمام حب الحياة والتعلق بها بعد أن غدا الموت الحقيقة الكبرى في الحياة ؟(وهنا تتباين وجهات النظر ويبدأ الصراع الفكري للإنسان، الذي قد يفضي به إلى الإيمان المطلق بالحياة والموت عقائدياً، أو قد يفضي به إلى القلق من منطلق الحرص على الحياة والخوف من الموت بعيداً عن أي اعتبار عقائدي)[١١]. ووقف الشعراء – كدأبهم – يصورون قضايا الدنيا الكثيرة وحازت مشكلة الحياة والموت حيزا كبيرا من تأملاتهم في فنهم فن الشعر، (ولاشك أن الشعر من أقدر الأنواع الأدبية على تصوير التجربة الإنسانية في مواجهة الكون والحياة)[١٢] ، فن التعبير عن فهم الإنسان للكون وما يتصل به من خلال النفس والوجدان، للتعبير عن الألم والأمل، بما يحويانه من عمق وترقب لكل دقائق الحياة.وبما أن الحياة العربية قامت قبل الإسلام على نظام القبيلة، فقد اقتضى هذا النظام القبلي أن يكون الشاعر مسجلاً لمآثر قومه، قال ابن رشيق (ت ٤٥٦هـ): (كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أنت القبائل فهنأتها .... لأنه حماية لأعراضهم، وذب عن أحسابهم، وتخليد لمآثرهم)[١٣] ، والعرب تنشد الشعر للغناء بمكارم أخلاقها، وطيب أعراقها،

ودليل ذلك قول أبي تمام:[١٤]

ولولا خلال سنها الشعر ما درى بغاة الندى من أين تؤتى المكارم؟

ولا يفوتنا القول أيضاً، إن الشعر يُعد من أشرف الكلام عند العرب وأقدسه كما قال ابن خلدون

(ت ٨٠٨هـ): (اعلم أن الشعر من بين الكلام كان شريفا عند العرب، ولذلك جعلوه ديوان علومهم وأخبارهم)[١٥] . وفي صحرائه كان الإنسان الجاهلي أمام الموت وجها لوجه

فالعمر والحياة كنز ناقص، والموت إذا أغفل بعض الناس فطال عمرهمفهم لا يخرجون عن قدرته وسلطانه، ولا مناص للمرء من الموت

يصور طرفة بن العبد ذلك بقوله :

أرى العيش كنزاً ناقصاً كُلَّ لَيْلَة وما تنقص الأيام والدَّهرُ يَنفَد

لعمرك إنَّ الموت ما أخطأ الفتى لكالطول المرخي وثنياه باليد

---

[١٠] ميزان الحكمة ، محمد الريشهري /ج٢ / ص ٨٩٢
[١١] معادلة الحياة والموت موضوعا شعريا – ليلى عبد الحميد الهنداوي, ص١٧٣
[١٢] الإنسان والزمان في الشعر الجاهلي:حسني عبد الجليل يوسف، جامعة الأنبار، ١٩٨٨م، ص١٣
[١٣] مقدمة ابن خلدون:تح كانمير ، طبعة باريس، مكتبة لبنان ، ١٨٥٨ ,ص ٥٣٥
[١٤] ديوان ابي تمام، عبد الحميد يونس وعبد الفتاح ، ميدان الأزهر، مصر، ص٢٥٢
[١٥] ديوان طرفة بن العبد:عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ص ٥٣

أولا

حب الحياة:

انحاز الشاعر الجاهلي إلى الحياة وحرص عليها حرصا شديدا لأنها مكمن الآمال و الأحلام . التي يدأب الموت على اغتيالها و هذا ما جسدته ملحمة جلجامش الذي بحث عن سر الخلود الجسدي (بعد أن أفزعه الموت النازل بصاحبه أنكيدوا، و من أجل ذلك ركب الأهوال و تجسم المخاطر ينشد الخلود ليحتمي من الموت، لكنه آب من مسعاه خائبا مكسوف البال بعد أن يئس من حيازة الوجود الأبدي)[١٦]. (وقد أدرك العرب الجمال ، وتذوقوه ، أدركوه فى الطبيعة ، وأدركوه في المرأة وأدركوه في فن القول وكان العربى شاعر طبيعة ، يتأمل فيها ، وينها آلامه ، . تثير وينسى عندها أحزانه ، ويحبها ويفتن بها ، ويصورها كما امتثلتها نفسه الأطلال شجونه ، وتملك عليه الناقة والبعير والفرس فؤاده ، وتستهويه الصحراء بحيوانها ، ورمالها ، وآلها ، وآبارها ، وواحاتها ، ونجومها ، وبرقها ومطرها فالشاعر الجاهلي إذا مثل الحياة البدوية أو الريفية فلأنه كان بدوياً أو راعياً ، كما صنع شعراء العصور الوسطى والقديمة الأوروبية . أما حين انتقل إلى بيئة أخرى غير بدوية وتحرر من قيود الماضى فإنه صور الطبيعة مثلما صورها الأوروبيون من بعد في بيئة مشابهة .وقد تناول شعر الطبيعة فى العربية كما تناول عند الغربيين الطبيعة الحية والطبيعة الصامتة)[١٧].

ثانياً

ذم الحياة

إنَّ الحياة أولا وقبل كل شيء . واقعة ليس علينا إلا أن نتقبلها، وعلى الرغم من أننا لم نطلبها، إلا أننا وجدنا أنفسنا أحياء[١٨] ، (وعلى الرغم من أنّ الإنسان مجبول على حب الحياة، إلا أنَّه لا يكف عن شتمها في بعض الأحيان، والواقع أن لحظة قصيرة من الألم، ربما تدفع بنا إلى الكفر بالحياة، وبغضها وشتمها، وننسى الخيرات التي وضعتها الحياة بين أيدينا)[١٩]. (فالحياة لا تخلو من المتاعب والمصاعب، والأحزان والشدائد، وهي منبع الفرح والسعادة والحزن والأسى، واللذة والمعرفة، والحكمة، لا تمام للإنسان إلا بها) [٢٠] ،(والشاعر صارع الحياة وصارعته، وذاق منها

---

[١٦] ينظر : الخوف في الشعر العربي قبل الإسلام، جليل حسن محمد، دار دجلة، ط٢، عمان، الأردن، ٢٠٠٩ ص ١١١.
[١٧] شعر الطبيعة في الأدب العربي ، سيد نوفل ، ص١٢
[١٨] ينظر: مشكلة الحياة، إبراهيم، زكريا: ، د.ط، دار مصر للطباعة،، ص٢٧
[١٩] ينظر: نفسه، ص٢٠
[٢٠] ينظر: المقابسات التوحيدي، أبو حيان ، تح: حسن السندوبي، ط،١ ١٩٢٩، ص.٢٣

العسل والحنظل، لكن حنظلها كان أكثر من عسلها، فتولد لديه الإحساس بضيم الحياة، التي ما لبثت أن أمطرت عليه وابلا من المصائب والنكبات، وراح يصور ما وقع عليه من بؤس وشقاء، مستعينا بقدرته الشعرية وثقافته المتنوعة، فيصوّر غدر هذه الحياة الفانية وهي التي لا تحفظ عهدا أو تتم وصلا، والإنسان لا يمل هذه الحياة، والخلود فيها محال)[٢١]، وهي تأخذ ما تعطي، وتسترد ما تمنح.

وهذه الظاهرة المخيفة التي أقلقت الإنسان و شغلت ذهنه و جعلته شديد التفكير فيها، لا تفارق باله البتة باحثا عن سرها في هذا العالم المجهول معبرا عنها في أشعاره و خطبه و حكمه و غير ذلك من ألون الشعر و النثر، فهذا أمية بن أبي الصلت . الذي جعله الموت ينظر إلى الدنيا أو الحياة نظرة متشائمة قائمة ملؤها الخوف و الارتياب يقول[٢٢]:

فكن خائفا للموت والبعث بعده ولاتك فيمن غره اليوم أو غد

فالشاعر هنا يدعو الناس إلى الخوف من الموت والبعث و عدم الاغترار بالحياة التي لا تدوم، و قد ضاعف خوف الإنسان من الموت مباغتته للأحياء لأنه يأتي مجهولا دون سابق إنذار. فلا يدري الإنسان متى يموت ، أو كم من العمر سيعيش ثم يموت و لكن الإنسان لم يتدبر في حكمة الموت ، و انصرف إلى الحياة لاهيا فيها تاركا وراءه الموت فلذة الحياة جعلت الإنسان ينساق وراء التوافه منكبا على جمع ما يحقق سعادته في الدنيا ناسيا وراءه الموت.(ولعل هذه النظرة التشاؤمية للحياة، تتفق مع الفلسفة الوجودية التي تذهب إلى أن الموت هو تصالح الروح مع ذاتها، وأن الإنسان منذ البداية ذاتها محتضر) [٢٣](والشاعر الجاهلي متشائم في الغالب، وهو لا يتأمل الحياة ولا يبدي رأيه فيها إلا حين يدفعه إلى ذلك ما يصادفه من ألم وحزن، ومن تعرض لجوانب الحياة غير البهيجة وانعكس ذلك على صوره وتعبيراته)[٢٤] .

وعند التطرق الى موضوع ذم الحياة لا بد ان نذكر فئة من الشعراء الذين أذموا الحياة بسبب ما عانوه من ظلم وأضطهاد وحرمان بسبب عوامل اجتماعية طبقية وأخرى نفسية واقتصادية، وهذه الفئة متمثلة بشعراء الصعاليك، حيث عنوا من عدة عقد في حياتهم ونذكر منها عقدة الفقر (عقدة العقد التي اشترك بها جميع الصعاليك)[٢٥] ,الفقر الذي رزح الصعاليك تحت وطأته، حولهم إلى أشبه ما يكون بكائنات مشلولة، لا تملك من أمرها شيئاً دائماً تنتظر من يفطن إلى شللها

---

[٢١] آراء ودراسات في شعر المتنبي وحياته ،الخياط، جلال: المثال والتحول: ، د.ط، وزارة الإعلام، بغداد، ،ص١١
[٢٢] الخوف في الشعر العربي قبل الإسلام، جليل حسن محمد، دار دجلة، ط٢، عمان، الأردن، ٢٠٠٩ ص١١٢
[٢٣] الموت في الفكر الغربي ،شورون ، جاك، ، ترجمة كمال يوسف ، ٢٠٠٠م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ،ص ٢٥
[٢٤] ينظر : الصعلكة والفتوه في الإسلام، أحمد أمين، ص١٣
[٢٥] الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ،يوسف خليف، ص٢٣٠

وضمورها، فيتصدق عليها بقطرات من عون. أولئك الذين عاشوا على فتات الحياة، وبقاياها، أو كانوا أشبه الأشياء بالفتات والبقايا، لم يتنبه أحد لعوزهم، ولم يلقوا إلا الإهمال والإقصاء، فرضي بعضهم بالنذر القليل البائس مما يُرمى إليهم، ورفض البعض الآخر هذا التذلل، فاختاروا سلوك نهج الثورة والتمرد على واقعهم، رغم ما ينتظرهم من معاناة ومخاطر نتيجة اختيارهم ذاك.

وهذه هي الفئة التي يهمنا أمرها، و" فقر الصعاليك" لم يكن محتملاً أو مقبولاً، وذلك لأنه (فقر يغلق أبواب الحياة في وجه صاحبه، ويسد مسالكها أمامه)[٢٦] يزداد وجع الفقر، وهول أثره في بيئة تأمرت فيها العوامل كلها، لتكون مرتعاً موبوءاً بآفات البؤس والشقاء مؤامرة يشترك فيها طرفان، تتحد مصالحهما وتلتقي، فيسهم كل منهما في إذكاء جذوة الفاقة وإضرامها. فقر الصعاليك لم يكن محتملاً أو مقبولاً، يزداد وجع الفقر، وهول أثره في بيئة تأمرت فيها العوامل كلها، لتكون مرتعاً موبوءاً بآفات البؤس والشقاء مؤامرة يشترك فيها طرفان، تتحد مصالحهما وتلتقي، فيسهم كل منهما في إذكاء جذوة الفاقة وإضرامها. قد يبلغ الجوع بالصعلوك حداً كبيراً، ويستبد به حتى يجهده، وينهك قواه كما هو الحال مع (السليك)، الذي أضره الجوع، وأخذ منه كل مأخذ، إلى درجة بات فيها وشيكاً من التهلكة. يقول[٢٧] :

وما نلتها حتى تصعلكت حقبة وكدت لأسباب المنية أعرف

وحتى رأيت الجوع بالصيف ضرني إذا قمت تغشاني ظلال فأسدف

معاناة السليك في هذا المشهد، لم تكن قصيرة الأمد، بل امتدت حقبة والحقبة من الدهر : (مدة من الزمن لا وقت لها، والسنة).فمن الممكن أنها استطالت لتشمل امتداد حياته، فلم تنته إلا بانقضاء جل عمره، أو أنها انتهت بانقضاء عام ولكن السنة في عمر الزمن ليست بقصيرة، ولاسيما إن كانت مختومة بالفقر والجوع، فقد توازي الدهر، وطأة وثقلاً. كما هي الحال مع أبي خراش الهذلي في هذه اللوحة، قال[٢٨]:

وإني لأثوي الجوع حتى يملني فيذهب لم يدنس ثيابي ولا جرمي

وأغتبق الماء القراح فأنتهي إذا الزاد أمسى للمزلج ذا طعم

ارد شجاع البطن قد تعلمينه وأوثر غيري من عيالك بالطعم

مخافة أن أحيا برغم وذلة وللموت خير من حياة على رغم

---

[٢٦] الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ص٢١

[٢٧] الأغاني، أبي فرج الأصفهاني ، تح علي نجدي ناصف، جزئ٢٠ ،ص٣٧٦

[٢٨] ديوان الهذليين ,ج٢ ,دار العروبة للطباعة والنشر,١٩٩٥ ،ص١٢٧

أبو خراش، وبريشة مبدعة يرسم صورة لنفسه، تكاد تنبض حياة، ولكنها ليست بالهانئة، بل هي حياة تضج بالقهر والاستلاب، لكن أبا خراش يظهر فيها عزيز النفس، وقوي العزيمة، وصلب الإرادة يتجه في اختياراته صوب حياة كريمة بعيدة عن الهوان، حتى لو كان الموت أحد تلك الخيارات. هنا نعود إلى القول: إن الصعلوك ، هو يفتقد حياة الجماعة ويتمنى لو كان بين أعطاف قومه، يردون عنه الأذى، فيكون موته بينهم أخف وطأة، لأنه سيوارى الثرى، ولن يتعرض جسده للتمثيل، أو التشويه، وسيترك وراءه من يحزن لموته، ويرثيه لأن وجوده مهم و غيابه سيترك فراغاً لا يملؤه إلا هو. أما في هذه الحالة، فوجوده وعدمه سواء، لا يشعر بأهميته أحد ، وكأنه لم يوجد أصلا في هذه الحياة ، وهذا ما يحز في نفسه ويزيد من عمق ألمه ووجعه.

المبحث الثاني

موقف الشاعر الجاهلي من الموت

على رغم من كون الموت ظاهرة متكررة ومعتادة، ولاسيما أنه يعد من البديهيات لدى العقل الواعي والتفكير المنطقي، إلا أنه ما زال يشغل حيزاً كبيراً من تفكير الإنسان ولاسيما الشعراء منهم، إذ إن مأساته تزداد عمقاً كلما شارف على أبواب شيخوخته ووصل إلى نهاية عمره؛ وأصبح قريباً من العودة إلى ثراه الذي جاء منه. ولكن هذه الآية تتجلى في أماكن تخرج من عرفها ونطاقها الموضوع لها فإن هذا الكائن المخيف يتحول عند مجموعة من الناس إلى رفيق مطلوب، وأمر مستحب ومرغوب، يبحث عنه صاحبه بطرق متعددة، فتزداد حاجته حتى يساوي في مقداره الحياة بل يتجاوزها في بعض موارده إلى مطلب يتمنون تحصيله بل يعدونه رحمة وراحة أبدية وسكينة ودعة. من هنا انطلقت رحلة البحث لتغمر عباب أشعار هذه المجموعة ونقصد بها (شعراء العصر الجاهلي) لتكشف سبب تفشي هذه الظاهرة لديهم وتبين عن أن النظرة للموت هل كانت متساوية أم لا ؟ . وقد أبرز الصلة الكبيرة بين الحب والموت والحياة فالحب ينسي الإنسان ما يعانيه من إحساس بالذات والقلق والخوف من الموت لأنه ينسي الإنسان متاعب الشعور بالذات وفقدان الحب يؤدي إلى الشعور بالغربة والضياع والقلق النفسي والتفكير بالموت والفناء. لقد تداخلت دلالة الموت مع الزمن لدى شعراء الغزل وانعكس على العمل الشعري الذي أنتجوه فجاءت أشعارهم وكأنها تعبير حي عما يدور بخواطرهم من هموم جعلتهم يفكرون بالموت طالبين قدومه علهُ يقصر من مدة عذابهم الدنيوي . وإجمالاً إن موقف الجاهليين من الموت عامة اتخذ ثلاثة مسالك المسلك الأول من يقنع نفسه أن حاله كحال بقية الناس في حتمية الموت فيلقي نفسه في كينونة القطيع ليسهو ويتغافل عن مواجهة الموت وهذا مسلك من يعيشون حياة القطيع بالوجود الزائف والمسلك الثاني هو أن يستسلم الإنسان كلياً للموت ويشعر بانعدام إرادته أمامه فيرضخ له خانعاً ذليلاً ويعيش حياته يائساً ضعيفاً مهزوماً يحاول الهروب من الموت بشتى أنواع اللذات واللهو والعبث، وهذا المسلك هو الذي فسرت به أكثر الدراسات الاستشراقية والعربية الحديثة والمعاصرة حياة الشاعر الجاهلي ووجوده فصورته مهزوماً هارباً مستسلماً للموت لا إرادة له أمامه أما المسلك الثالث فهو اتخاذ موقف المواجهة للموت واليقين من سمو الوجود الذاتي للإنسان والمحفز له لتحقيق وجوده الأصيل، وهذا المسلك هو الذي يفسر الماهية الفلسفية للشعر الجاهلي؛ فقد أودع الشاعر الجاهلي حياته ووجوده وأحلامه وأحزانه

وجمال عالمه الصحراوي الذي أحبه في عالم الشعر هذا، كما أودع روحه في الكلمات والإيقاع، فنحن حين نقرأ شعر امرئ القيس نحس بروحه بكلماته، ونحس باختلاف هذه الروح عن روح شعر زهير أو التابعة المتلبسة كلماتهما. لقد أرقت فكرة الموت شعراء العصر الجاهلي، فعبروا عنها بطرائق مختلفة، ورأوا الموت قوة غيبية خفية غادرة لذلك تشابهت مواقفهم منه وتشابهت نظرتهم إلى الموت الذي عنى في نظرهم فناء ونسياناً. ومن تتبع معجم الموت لديهم نجد شيوع بعض الألفاظ أكثر من غيرها، وقد عبروا عن الموت بمفردات مختلفة منها الموت والحتف والمنون، والسام، والحمام والردى، والحين والتكل، والوفاة، والهلاك، وأكثرها استعمالاً لفظ المنية والمنايا.

أولاً : حتمية الموت:

الموت حقيقة ثابتة وقضا مقدر لا مهرب منه ولا منجاة والشاعر الجاهلي كان مدركا هذه الحقيقة ، وكان على يقين راسخ بأن الموت منهل يرده الجميع ، ولا يمكن للمرء أن ينجو من سهامه ، او يظفر بالخلود لمال او جاه او سلطان[٢٩] (وسواء كان الموت أحمر أو أسود، وسواء ملأ الكأس أو الحوض، أو نبع من نبع، فهو مشبه في الغالب بشراب لا بد لكل بشر يوما من أن يذوقه ، وهو كالسهم يرمي به رام ماهر وكهجمة نسر صاعقة يهوي على فريسته وكعبء ماحق لرحى تطحن حتمي قدري مباغت وقد كان العربي متيقنا من هذه الحقيقة فلم يكن يخشى من مبادرة الموت ولكنه يرثي موتاه لأنهم أيلون إلى عزلة القبور الموحشة، بلا صديق ولا صاحب غير البوم، أو مقبلون على مآل أتعس هو أن يتركوا في ساحات المعارك فرائس للسباع والكواسر)[٣٠] " فعلى الرغم (من اكتشاف حتمية الموت فإنه يؤدي إلى صدمة عميقة، وأن الإنسان لم يتقبل دون مقاومة مشهد انفصاله عن الأرض وكل بهائها أو الفقدان الحتمي لأحبائه فإن هناك عزاء تمثل في الايمان)[٣١]. حيث يقول المخبل السعدي[٣٢]:

إني وجدك ما تخلدني — مائة يطير عفاؤها أدم

ولئن بنيت لي المشقر في — هضب تقصر دونه العصم

لتنقبت عني المنية ان — الله ليس لحكمه حكم

---

[٢٩] كتاب المرشد الى فهم أشعار العرب ،عبد الله الطيب المجذوب، ص ٢٦٩

[٣٠] ينظر في كتاب الموت في الشعر العربي محمد عبد السلام مراجعة حمادي صمود ص٦٤

[٣١] الموت في الفكر الغربي، جاك شورون، ص٢٣

[٣٢] المرشد الى فهم أشعار العرب وصناعتها، للدكتور عبد الله الطيب ،ج٥ ،ص٢٦٩

وقد تحدث عن هذه الحقيقة أكثر من شاعر ، فهذا طرفة يجد الانسان مقيدا بحبال المنية ، ولا خلاص له منها ، ولا فكاك[٣٣] :

لعمرك ان الموت ما أخطأ الفتى لكالطول المرض وثنياه باليد

وذاك ابو أؤيب الهذلي يتأمل الحياة من حوله ، وكيف تفتك المنية بالناس ولا تجد بينهم من يقوى على رد غائلة الموت ، فلا التمائم تنفع ، ولا التعاويذ تجدي انها قوة الحتمية المعلقة اذ يقول في صيغة من الواقعية ، والاستسلام العاجز[٣٤]:

واذا المنية أنشبت اظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع

وبلغ الاستسلام الى هذه الحتمية درجة من الاعتقاد بأن الموت سيطال الانسان ، ولو صعد في السماء او احتمى في القلاع والحصون ، فلابد أن تناله اسباب المنايا كما يرى زهير بن ابي سلمى اذ يقول[٣٥]:

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ولو رام أسباب الراء بسلم

ومناقشة كرة الحتمية من جانب آخر قد تمنح الانسان حرية في الاختيار فمادام الموت قدرا مضروبا ومحددا فان خشية أسبابه لا تهب المرء خلودا ، فلماذا لا يفشى الانسان ساحات الوغى ، ولماذا لا يرحل في الارض ، ويطوف بين الاصقاع ؟ بل لماذا يستكين مستسلما والموت حين يأتي لا علاقة له بهذا او ذاك من الأسباب[٣٦] :

فَكَيفَ يُرَجّى المَرءُ دَهراً مُخَلَّداً وَأَعمالُهُ عَمّا قَليلٍ تُحاسِبُه

أَلَم تَرَ لُقمانَ بنَ عادٍ تَتابَعَت عَلَيهِ النُسورُ ثُمَّ غابَت كَواكِبُه

وَلِلصَعبِ أَسبابٌ تَجُلُّ خُطوبُها أَقامَ زَماناً ثُمَّ بانَت مَطالِبُه

فكان أن الموت عندهم سوف يدركهم كما أدرك الغابرين.

يقول جذل بن اشمط مخاطباً صاحبته بإنه صائر إلى الردى كما صار إليه سابقوه[٣٧]:

أأمام إن الدهر أهلك صرفه إرماً وعادا ورمى فأنزل أسعد الخيرات قد جمع العبادا

---

[٣٣] ديوان طرفة بن العبد شرح مهدي محمد ناصر الدين ، ص٢٦

[٣٤] كتاب شرح أشعار الهذليين لأبي سعيد الحسن السكري تحقيق عبد الستار فرج / ص٨

[٣٥] شرح المعلقات السبع ، للزوزني، معلقة زهير بن أبي سلمى ، ص١٥٠

[٣٦] ديوان طرفة بن العبد ، شرح الأعلم الشنمتري،ص١١

[٣٧] الوحشيات، أبو تمام حبيب بن اوس الطائي، تحقيق: عبد العزيز الميمني دار المعارف، مصر، ط ٢، ١٩٦٣ : ١٦٢

بالبيض والحلق المقدر سرده وحوى التلادا فخطفته والدهر يترك بعد صالحة فسادا

وكأن ذلك لم يكن إلا التذكر حين بادا أأمام إن القدر لم تلعن أباك ولا الرمادا

ويرى عمرو بن كلثوم حتمية الموت مثل سابقيه[٣٨] :

وَإِنَّا سَوفَ تُدْرِكُنا المَنايا مُقَدَّرَةً لَنا وَمُقَدَّرِينا

والمعنى الجوهري في هذا التفكير هو معنى حتمية الموت. ولما كان التعبير عن هذا المعنى يقع في إطار الرثاء فقد بدا وكأنه من معاني التعزي، وذلك لأن فكرة أن جميع البشر ملاقون مثل هذا المصير تخفف من ألم من أحزنهم الموت. وهو قول الخنساء[٣٩]:

وَلُولا كَثْرَةُ الْباكِينَ حَولي على إِخْوَانِهِم لَقَتَلْتُ نَفْسي

وَلَكِن لا أزالُ أَرى عجولاً وَبِاكِيَةً تَنوحُ لِيَومِ نَحْسٍ

أراها والها تبكي أخاها عَشِيَّةَ رُزِئِهِ أَو غِبَّ أَمْسِ

إلا أن معنى حتمية الموت لا يقتصر ظهوره على المراثي وإنما كثيرا ما يقع التطرق إليه في سياقات أغراضية أخرى. والشاعر العربي، في ذلك العصر، لا ينوي يذكر جمهوره، سواء ليبرر سلوكه أو ليفخر ببأسه وجوده أو ليحرض قومه على الدفاع عن عرضهم أو كي يثير حماسهم في المعركة، وسواء في أشعاره في الحرب أو في مقاطعه الحكمية، بأن الموت حتمي وأنه من العبث أن يرغب المرء في التوقي منه.

ثانياً : البعث والحساب

رغم اعتراف العرب، ومنهم الشعراء، في الجاهلية ، بالموت إلا أن كثيرًا منهم لم يؤمنوا بالبعث وكانوا يرون أن الموت نهايتهم، وأنهم غير مبعوثين، وأن البعث بعد الموت شيء غير معقول، لذا تعجبوا من قول النبي محمد (صل الله عليه وآله وسلم)

كِنَايَةٌ عَنِ عدم اعترافهم بالآخرة ، بوجود البعث والحساب (وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ أَي مَا الْحَيَاةُ إِلَّا مَا نَحْنُ فِيهِ لَا الْحَيَاةُ الْآخِرَةُ الَّتِي تَعِدُنَا بَعْدَ الْبَعْثِ نَمُوتُ وَنَحْيا)[٤٠]

[٣٨] شرح المعلقات السبع الطوال الجاهليات تحقيق عبد السلام هارون دار المعارف، القاهرة، ط ١٩٦٣ : ٣٧٤
[٣٩] شرح ديوان الهذلتين ١١٠ ١١٦/١١ ، ص ٨٤٤-٨٨
[٤٠] سورة الأنعام الآية ٢٩

يُقَالُ: كَيْفَ قَالُوا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَهُمْ لَا يُقِرُّونَ بِالْبَعْثِ؟ فَفِي هَذَا أَجُوبَةٌ مِنْهَا أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى : تَكُونُ مَوَاتًا، أَي نُطَفًا ثُمَّ نَحْيَا فِي الدُّنْيَا[٤١] ،

وفي قوله تعالى: (وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ، قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وَكُلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ)[٤٢]

فهنا جَعَلَ الموت هو الذي يذوق النفس قلباً للكلام لفهم المعنى، وهو ما يؤكد على تيقن العرب قبل الإسلام من الموت وحتميته كما في قوله تعالى : (وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ)[٤٣] وهم بذلك ينكرون البعث، ويتجلى هذا الإنكار للحشر والبعث في أبيات تنسب إلى الأسود بن يعفر يرثي بها قتلى قريش يوم بدر، وهم الذين قتلوا في تلك المعركة وألقوا في القليب[٤٤] ، فيقول[٤٥]:

أيوعدني ابن كبشة أن سنحيا وكيف حياة أصداء وهام

أيعجز أن يرد الموت عني وينشرني إذا بليت عظامي

فقد أراد الشاعر إنكار البعث، وأن يصير الإنسان مرة أخرى إنسانًا بعد أن تتحول روحه إلى طير، ورأى أن الحياة واحدة، ولا يكون بعد الموت بعث ولا حساب نحيا ونموت يموت بعضنا ويحيا بعضنا، وما يميتنا إلا الأيام والليالي، أي مرور الزمان وطول العمر، فالحياة، إذن حياة وموت في هذه الدنيا، وهي استمرار للاثنين على مدى الدهر، يولد إنسان ثم يموت ليحل محله إنسان آخر، وهكذا بلا انتهاء، ولم يكن الانكار ليوم الحساب لجميع العرب والشعراء، فمنهم من يؤمن بالبعث، وبالحشر بالأجساد بعد الموت، وهم قلائل، ومنهم زهير الذي كان على مذهب من كان منهم يقول بالبعث إذ يقول[٤٦] :

يؤخر، فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم

ويشير السكري أن معضم العرب كان يؤمن بالبعث مستدلا على ذلك بشعر لكل من الأعشى والأخفش بن شهاب التميمي في ذكر الحساب مما يدلل أنهم كانوا يؤمنون بالبعث والحساب[٤٧]ويعد أمية بن أبي الصلت أكثر الشعرا الذين ورد في شعرهم الحساب والثواب

---

[٤١] ينظر الجامع لأحكام القرآن . القرطبي : أحمد البردوني وأبراهيم أطفيش, دار الكتاب المصرية القاهرة ط٢ ١٩٦٤
[٤٢] سورة السجدة الآية ١٠-١١
[٤٣] سورة الواقعة الآية ٤٧-٥٠
[٤٤] ينظر : الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لأبن هشام المحقق : عمر عبد السلام السلامي الناشر : دار احياء التراث العربي . بيروت الطبعة الأولى ٢٠٠٠
[٤٥] ديوان الأسود بن يعفر صنعه حمودي القيسي ص ٦٠
[٤٦] ديوان زهير بن أبي سلمى شرحه علي حسن فاعور ص ١٠٧
[٤٧] ينظر : المحبر : أبو جعفر البغدادي تحقيق : ايزلة ليختن شتيتر, دار الافاق الجديدة بيروت ص ٣٢٢

والعقاب والجنة والنار, بل هو الشاعر الجاهلي الوحيد الذي اتسم شعره بنزعات دينية وفكرية لأنه كان يشكك بعبادة قومه ويسأم من عبادتهم, وكان ينهى قومه عنها متأثرا باليهودية والنصرانية, فقد ذكر الجنة والنار والبعث بمعانيها الحقيقية لا المجازية, فكان قريبا مما جاء به الاسلام وبشكل خاص ما يتعلق بالأحنف[٤٨] ومما يؤكد ايمان الأعشى بن قيس بالبعث قوله[٤٩] :

يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطوراجوارا

بأعظم منه تقى في الحساب اذا النسمات نفضن الغبارا

يؤكد الأعشى في هذين البيتين الصلة بين القصيدة و بيئة الشاعر والتقاليد السائدة في محيطه، فهذه الصلة ، (الوسيط الأساسي الذي يستكشف به الشاعر تجربته، ويتفهمها كي يمنحها المعنى والنظام)[٥٠] (فالقصيدة تُعَدُّ احدى مصادر المعرفة والشاعر مرآة لعصره وبيئته فهو يؤرخ للمجتمع ويكشف عن إسراره)[٥١] ، لتصبح القصيدة وثيقة تاريخية لواقعه، لكن هذا التماهي بين البيئة والنص يجعل المتلقي والباحث يبحث عن بيئة الشاعر عبر القصيدة، ليقف عند الأثر المتبادل بينهما. إن هذه الرؤية تكشف مدى انعكاس الموت على رغبة الشعراء في التمتع بالحياة، والبحث عن أسراها، وتحدي الموت، وهذا ما وجدناه في القصائد المقطوعات أو الأبيات التي وقفنا عندها، وإذ كانت الحياة متمثلة في الأخلاق والطبيعة والارتباط بالقبيلة، والدفاع عنها، والتفاعل مع البيئة، واستثمارها في التعبير عن هموم الشعراء، ومشاعرهم والإجابة عن الاسئلة التي تنطلق من قلقهم الوجودي، وهذا ما نجده عند أهم الشعراء في الجاهلية، فإن الموت ظل يحاصر الشاعر في واقعه وحياته وتفكيره ومشاعره وانفعالاته حتى في لحظات التمتع بلذة الحياة، إذ يبدأ من الشيب الذي كان نذيراً بأفول وهج الحياة ، فوقف عنده الشعراء طويلا، وانتهاء بالقبر الذي اختلفت الآراء حوله، أهو موت أبدي، أم عودة للحساب والعقاب، لكن أفكارهم عنه تميزت بالقوة والأصالة الفكرية المتمثلة في قدرة الأفراد على إعادة اكتشاف الحقائق الحياتية والأبدية[٥٢].

---

[٤٨] ينظر : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام : جواد علي ج ١١ / ص ١٣٣

[٤٩] ديوان الأعشى الكبير, ميمون بن قيس تحقيق : محمد حسين, ص ١٩٠

[٥٠] الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب : جابر عصفور ص ٣٨٣

[٥١] ينظر الوعي والفن : غيورغي غاتشف, ترجمة نوفل نيوف مراجعة د. سعاد مصلوح عالم المعرفة, الكويت ١٩٩٠ ص ١٧٠

[٥٢] ينظر : جدلية الحياة والموت في الشعر الجاهلي : محمد فواز : الناشر : رابطة الأدب الحديث, بحوث ومقالات ٢٠٠٦ ص ١٥٠

الفصل الثاني

أشكال الموت في الشعر الجاهلي

الفصل الثاني

أشكال الموت في الشعر الجاهلي:

صورة الموت كانت في اتجاه مواز لصورة الحياة في كل الأشعار تقريبا. فحياة العاشق مرتهنة بنظرة من المعشوق ورهين الهجر والقطيعة، وحياة الزاهد مقترنة بفكرة الموت عنده، فهو يرى أن الحياة الدنيوية هي مطية لحياة أخرى أفضل وأبقى. وموت الفارس والمحارب والمجاهد هو تمجيد لبطولاته وفروسياته في الحياة، فلا حديث عن الموت إلا في علاقة مباشرة مع الحياة. فالموت موتان، موت بالحياة وموت بعد الحياة، وإذا كان العاشق يتحدث عن موته هو ، فإنّ الراثي يتحدث عن موت أحد أحبابه والزاهد يتحدث عن موت الإنسان، وبين موت الفرد وموت الجماعة تتشكل شعرية الخطاب لتنسج صورا إبداعية جديدة للموت تقترب من صورة الموت الفلسفي أو الموت الصوفي أو الموت الرمزي بما يمثله الكل من مفهوم للفناء في علاقته بالوجود، فالشجاع يموت والبخيل يموت وذو الأخلاق الرفيعة يموت وذو الأخلاق الوضيعة يموت.... وبين موت هذا وموت ذاك بون شاسع، ربما تتعدّد الأسباب والموت واحد ولكن حتى الموت العدم فيه درجات ومراتب مثل درجات الحياة ومراتبها، فدرجة الأموات تختلف بحسب كينوناتهم في الوجود، وبقدر ما كانت منزلتهم في الحياة تكون منزلتهم بعد موتهم.

إن الحديث عن الموت هو قرين الحديث عن الحياة، وما تذكر الموت سوى شكل من أشكال التشبع بملذات الحياة. وذكر الموت في الأشعار لم يقترن بشعراء الزهد أو الرثاء وحسب، فأغلب الشعراء قد ذكروا الموت في أشعارهم كل من زاوية مختلفة، تقول تماضر بنت الرشيد زوجة زهير بن جذيمة ترثي ابنها قيس بن زهير العبسي[٥٣]:

كَأنّ العينِ خالَطها قَذاها لِخزنٍ واقعٍ أفنى كراها

عَلى ولدٍ وَزين الناس طرّاً إذا ما النارُ لَم ترَ مَن صلاها

لَئِن حَزنت بنو عَبسٍ عليهِ فَقَد فَقدت بهِ عبسٌ فتاها

فَمَن لِلضّيفِ إن هبّت شمالٌ مُزعزعةٌ يُجاوِبها صَداها

[٥٣] أعلام النساء ، رضا كحالة ،ج١ ص١٧٦

فُجعت عبس بإفضل شبانها ،وحزنت أمه حزناً شديداً،وكانت عيناها دائمة البكاء،وإذا انتبهنا إلى المثال السابق فإننا نرى أنها قد جعلت من الموت محورا، إلا أن صورة الموت اختلفت ، فالموت يدل على القضاء والقدر . فالإنسان ماله الفناء بأي شكل من الأشكال، فلا مهرب من الموت فهو نهاية حتمية، فبعضهم يموت عليلا وبعضهم يموت غريقا وبعضهم يموت قتيلا وبعضهم يموت وهو على فراش العافية، فأسباب الموت عدة أما الموت فهو واحد. فإذا كان الموت واحد فإنّ أسبابه متعدّدة، وأشكاله مختلفة، فلا يستوي من مات في مسجد بمن مات في خمارة، ولا يستوي من مات شريفا وهو يدافع عن شرف أو عرض أو أرض بمن مات ذليلا وهو يهم بالسرقة أو بالزنى أو بأي منكر، فالموت واحد لكن أشكاله عديدة. فالموت هنا قد اتخذ شكلا آخر تمثل في كونه نهاية كل كائن، وقد وردت الأبيات في شكل تذكير ونصح لذاك الإنسان العابث ولذاك الذي يكنز الذهب والفضة دون أن يضع في حسبانه أنه هو وماله مالهما الزوال، بل نعت الشاعر ذاك الذي يعتز بماله بالحمق لأنه لا يدري أن الموت حقيقة لا مهرب منها حتى وإن كان أشجع الشجعان وأشد الفرسان وصورة الموت هذه هي الصورة الغالبة عند أغلب شعراء الزهد فهذا أبو العتاهية يقول مذكرا الإنسان بمصيره الحتمي[٥٤]:

يَـا أَيُّـهَـا الْـحَـيُّ الَّـذِي هُـوَ مَـيِّـتٌ أَفْـنَـيْـتَ عُـمْـرَكَ فِـي الـتَّـعَلُّلِ وَالْمُنَى

أَمَّـا الْـمَـشِـيـبُ فَـقَـدْ كَـسَـاكَ رِدَاءَهُ وَابْـتَـزَّ عَـنْ كَـتِـفَـيْـكَ أَرْدِيَـةَ الـصِّـبَـا

فالخوف من المجهول والخوف مما وراء الحياة يجعلان الإنسان في موضع تذلل قبل الموت، بل يُخيّل للمرء أن بداية الحياة الثانية ستكون مع الموت بحسب ما كانت الحياة الأولى فيهرع للتوبة قبل أن يطاله الموت ويفوت الأوان. ومثل هذه الصورة عن الموت نجد صدى لها في أغلب الديانات فهم يؤمنون بأن هناك حياة أخرى بعد الموت تعتمد على إيمان البشر أو أفعالهم فينالون العقاب في النار أو الثواب في الجنة، فهذه الديانات جميعها جاءت لترسخ مبدأ الثواب والعقاب الثواب لمن أطاع أوامر الله وانتهى عما نهى الله عنه، والعقاب لمن خالف ذلك وأصر على المعصية.

[٥٤] ديوان ابو العتاهية، دار بيروت للطباعة والنشر١٩٨٦،ص ٢٦

أولا:

موت الأب

"الأب هذه الكلمة التي توحي بالاطمئنان تمثل صورة الاب الذي امر الله بطاعته ووصى الرسول(صل الله عليه وآله وسلم) بحسن صحبته وكان الاب في نظر العربي القديم في الجاهليه السيد المطاع وصاحب السلطه على بيته لانه عماد البيت والقبيله في حياة صعبه تخاف القوي وتلوي ساعد الضعيف ولا يعيش فيها الا القوي قادر على حمايه اسرته من الجوع والفقر ولا سيما ان الانسان كان عرضه لمخاطر مختلفة من مظاهر الطبيعه اما وسائله الدفاعيه فقد كانت بدائيه"[٥٥] فالأسرة تبكي فيه السيد والفارس الذي ذهب ولن يعود. ويكون الحزن شديداً حتى يُقتل الأب دون أن يؤخذ بثأره ولا يوجد من يدرك دم قاتله فيشفى منه.

فهذه ابنة حكيم بن عمرو العبدية ترثي أباها وتحرض قومها على الأخذ بثأره فتقول:[٥٦]

أَيَرجو رَبيعٌ أَن يؤوبَ وَقَد ثَوى — حَكيمٌ وَأَمسى شلوه بمطبّقِ

فَإن كنتمُ قَوماً كِراماً فَعَجّلوا — لَه جُرأةً مِن بأسِكم ذات مصدقِ

فَإن لَم تَنالوا نيلكم بِسُيوفكم — فَكونوا نِساء في الملاء المخلّقِ

وَقولوا ربيعٌ ربّكم فَاِسجُدوا له — فَما أَنتمُ إلّا كَمعزى الحبلّقِ

فإذا كان ربيع قد غادر ابنته إلى غير رحمة وكان ريساً لقومه، فأن لقيط بن زرارة قتل يوم (شعب جبلة) وهذه ابنته دخنتوس ترثيه غير مصدقه أنه قتل فتعدد مناقبه وأصوله الشريفة فتقول[٥٧]:

بَكَرَ النعيّ بِخيرِ خن — دَفَ كَهلُها وَشَبابُها

وَأَضرّها لِعدوّها — وَأفكّها لِرقابِها

وَقريعِها وَنجيبها — عندَ الوَغى وَشهابها

وَرئيسـها عندَ المُلو — كِ وَزيـن يـومِ خِطابها

---

[٥٥] العقد الفريد،ج٢،ص٢٣٤_٢٣٥

[٥٦] شاعرات العرب، عبد الله البديع صقر،ص٨٢

[٥٧] أيام العرب في الجاهلية ، ص٣٦٢_٣٦٣ والأغاني ج١١،ص١٤٦

نقف وقفة تأملية أمام رثاء الأب ، نجده أكثره يصدر من البنت لأبيها. وقد يعود ذلك للتعلق الكبير به منذ طفولتها فقد نشأت في بيته وهي تراه الصورة المثلى أمامها. وكان الأب هو الأمل في كل شيء لذلك كانت تتمنى مشابهين لأبيها. وحين يذهب للقتال تحاول ان تمنعه وفي ذلك الشعر الجاهلي كثير ، يقول سلامة بن جندل :[٥٨]

تقول إبنتي : إن انطلاقك واحداً الى الروع يوماً تراكي لا أبا ليا

"نجد الرثاء في العصر الجاهلي يغلب على الأب وفي صدر الأسلام يتساوى الأب والأم فلا نجسد رثاء يذكر لهما، فهل كان للأحداث الكبرى ايام الغزو في العصر الجاهلي والفتوحات ونشر الدعوة في صدر الإسلام دور في ندرة الرثاء سواء في الأب أم الأم؟ وهل كان الإهتمام انذاك منصباً على الشباب والفرسان وهم عنصر الحياة الأقتصادية والذين يخوضون غمار الحروب والغزوات؟"[٥٩]

ثانياً:

موت الأحبة

لم يكن الموت في الشعر القديم هاجسا ذاتيا يعايشه الشاعر بقدر ما كان تعبيرا عن موقف من حدث أصاب فردا ما أو قد يصيبه في أي وقت. وقد اتخذ الموت في الشعر القديم أشكالا متعددة، فبعض الشعراء قد خص قصائد كاملة للحديث عن قصة الموت وبعضهم قد جرى الحديث عنده عن الموت في أبيات معدودات في شكل حكم ومواعظ، وبعضهم قد قرن الموت بالدهر ... والكل قد عبر في شعره عن قلق وحيرة من الوجود أفسدت في أحيان كثيرة متعة الحياة عنده، بل جعلت من الحياة الدنيا ممرا الحياة أخرى، والشاعر مثله مثل كل المبدعين قد انشغل بالموت خشية منه أو تذكيرا به أو لوما له أو تمنيا إياه أو نقمة عليه... وأصبغ عليه جمالية شعرية حولت الحدث حدث الموت باعتباره فاجعة إلى صورة تجمع بين الطرافة والجدة، فكل المعاني من شجاعة وفروسية وكرم وإقدام وحلم وهجاء وفخر ومجد وعظمة كلها تتكسر أمام جبروت الموت سواء أكان موتا حسيًا أم موتا معنويا. أما صورة الموت في الشعر فلها صيغ أخرى، فالموت في الرثاء غير الموت في الفخر وغير الموت في الغزل، فالموت في الرثاء متهم بأخذ الأحبة وتغييب أجسادهم، لكنه مع ذلك هو عاجز عن أخذ أرواحهم وأطيافهم من حولهم، من ذلك قصيدة أبي ذؤيب الهذلي التي بكى فيها أبناءه الخمسة الذين اختطفهم الموت من بين يديه. يقول فيها[٦٠]:

أَودى بَنِيَّ وَأَعقَبوني غُصَّةً بَعدَ الرُقادِ وَعَبرَةً لا تُقلِعُ

---

[٥٨] الوحشيات: أبو تمام الطائي ،ص٨٦

[٥٩] الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الأسلام، حسين جمعة، ص٥١

[٦٠] أبو ذؤيب الهذلي حياته وشعره، نورة الشملان، عمادة شؤون المكتبات جامعة الرياض، المملكة العربية السعودية، ص:٦٢

سَبَقوا هَوَيَّ وَأَعنَقوا لِهَواهُمُ فَتُخُرِّموا وَلِكُلِّ جَنبٍ مَصرَعُ

فَغَبَرتُ بَعدَهُمُ بِعَيشٍ ناصِبٍ وَإِخالُ أَنّي لاحِقٌ مُستَتبَعُ

وَلَقَد حَرِصتُ بِأَن أُدافِعَ عَنهُمُ فَإِذا المَنِيّةُ أَقبَلَت لا تُدفَعُ

وَإِذا المَنِيَّةُ أَنشَبَت أَظفارَها أَلفَيتَ كُلَّ تَميمَةٍ لا تَنفَعُ

فَالعَينُ بَعدَهُمُ كَأَنَّ حِداقَها سُمِلَت بِشَوكٍ فَهِيَ عورٌ تَدمَعُ

حَتّى كَأَنّي لِلحَوادِثِ مَروَةٌ بِصَفا المُشَرَّقِ كُلَّ يَومٍ تُقرَعُ

فَلَئِن بِهِم فَجَعَ الزَمانُ وَرَيبُهُ إِنّي بِأَهلِ مَوَدَّتي لَمُفَجَّعُ

وهذه صيحات ألم وحسرات صادرة عن سويداء فؤاد ملتاع بفقد أطفاله جميعا وإطباق الأسى والظلام على أقطار نفسه . فالشاعر كان له خمسة من الأبناء عرفوا بالنجدة والشجاعة والكفاية وكانوا نور عين والدهم فاستأذنوه للجهاد مع المسلمين حين اتجهوا لفتح مصر فأذن لهم فذهبوا وفتحوا مصر مع جيوش المسلمين ولكنهم في أثناء ذلك أصابهم الطاعون فقضوا جميعهم مرة واحدة، فصورة الموت قد اتخذت شكل الظالم المتوحش الذي حرم أبا من أطفاله الخمسة.

(قد تتمثل صورة الأم وتتجسد حين تفقد إبناً أو عزيزاً عليها وتتصاعد حرقتها ولوعتها وتستمر على الإبن لأنها حملته وهناً على وهنٍ، ثم أرضعته طويلاً وتعلقت به وسيجته بالعطف والحب من روحها. لذلك فإننا نرى في موت الإبن والأمومة تبكي الأمل والألم اللذين عاشت من أجلهما ، ولم تستكمل الصورة التي كانت ترسمها لإبنها في مخيلتها، لأنها غدت أماً ثكلا بأهلها. وقد يكون بكاء الأب قريباً من بكاء الإبن، فهو يبكي صورته المثلى التي تصورها لأبنه في مستقبله الجميل. فالأم والأب يثنان تحت وطأة فقدِ الأبن فيعصر قلبهما ألماً وحسرة ، وتحترق أنفاسهما .)[٦١] وهذا حسان بن ثابت إبنته العفيفة التي حافظت على شرفها وكمالها فلم يصبه أحد بجهالة من جرائها، فإذا ما خطفها الموت حزن عليها حزناً شديداً وبدأ يذكر صفاتها قائلا:[٦٢]

عَلِمتُكَ وَاللَهُ الحَسيبُ عَفيفَةً مِنَ المُؤمِناتِ غَيرَ ذاتِ غَوائِلِ

حَصاناً رَزانَ الرِجلِ يَشبَعُ جارُها وَتُصبِحُ غَرثى مِن لُحومِ الغَوافِلِ

وَما قُلتُ في مالٍ تُريدينَ أَخذَهُ بُنَيَّةُ مَهلاً إِنَّني غَيرُ غافِلَ

[٦١] ينظر : الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام ، حسين جمعة، ص٥٧و٥٨

[٦٢] شرح ديوان حسان بن ثابت، البرقوقي ،ص٥٥_٥٦

وإذا نادى حسان إبنته لكي تتمهل بإن أبا عمرو يهدئ من جزع ابنه عبد الله بن أراكة على اخيه عمرو ، ويحثه على الصبر والتجلد، وقلبه يتحرى على ابنه عمرو والذي يجزع جزعاً شديداً على أخيه عمرو فيهدئ من روعه أبوه قائلاً:[٦٣]

وقلت لعبد الله إذ جدّ باكيًا — تعزّ وماء العين منهملٌ يجري

لعمري لئن أتبعت عينيك ما مضى — به الدّهر أو ساق الحمام إلى القبر

لتستنفدن ماء الشؤون بأسره — ولو كنت تمريهنّ من ثبج البحر

تأمّل! فإن كان البكا ردّ هالكًا — على أحدٍ، فاجهد بكاك على عمرو

ولا تبك ميتًا بعد ميتٍ أجنّه — عليٌّ وعبّاسٌ وآل أبي بكر

أن البكاء لن يعيد ما مات،هكذا يقول لأبنه وعينه تنهمر بالدمع.لكن الموت في الشعر قد يتخذ أشكالا أخرى من قبيل موت العاشق لفقد معشوقه من ذلك قول قيس بن الملوح يتمنى الموت لبعد حبيبته ليلى عنه[٦٤]:

أُحِبُّكِ يا لَيلى مَحَبَّةَ عاشِقٍ — عَلَيهِ جَميعُ المُصعِباتِ تَهونُ

أُحِبُّكِ حُبّاً لَو تُحِبّينَ مِثلَه — أَصابَكِ مِن وَجدٍ عَلَيَّ جُنونُ

أَلا فَارحَمي صَبّاً كَئيباً مُعَذَّباً — حَريقُ الحَشا مُضنى الفُؤادِ حَزينُ

قَتيلٌ مِنَ الأَشواقِ أَمّا نَهارُهُ — فَباكٍ وَأَمّا لَيلُهُ فَأَنينُ

لَهُ عَبرَةٌ تَهمي وَنيرانُ قَلبُهُ — وَأَجفانُهُ تُذري الدُموعَ عُيونُ

فَيالَيتَ أَنَّ المَوتَ يَأتي مُعَجِّلاً — عَلى أَنَّ عِشقِ الغانِياتِ فُتونُ

فالعاشق يتمنى الموت ويرى فيه دواء من بلاء شديد أصابه، فيصبح الموت راحة من الحياة المرهقة.ولا تختلف صورة الموت عند ابن الملوح عن صورة الموت عند جميل بثينة إذ يقول[٦٥]:

أَتارِكَتي لِلمَوتُ إِنّي لَمَيِّتٌ — وَما لِلنُفوسِ الهالِكاتِ بَقاءُ

والموت عند يا ليتني ألقى المنية بغتة وعندك لي لو تعلمين شفاؤها بثينة صدغا يوم طار رداؤه جميل أيضا وسيلة لتعويض الفراغ تجلى في قوله[٦٦]:

---

[٦٣] الكامل للمبرد ،ج٢ ، ص٣١٧

[٦٤] ديوان قيس بن الملوح ، تحقيق يسري عبد الغني، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط١، ١٩٩٩، ص ٧٩.

[٦٥] ديوان جميل بثينة، دار صادر، بيروت لبنان، ص ١٣

[٦٦] المصدر السابق نفسه ، ص٦٠

لَيتَني أَلقى المَنِيَّةَ بغتَةً إن كانَ يَومُ لِقائِكُم لَم يقدرِ

فالحبيبة داء ودواء داء متى رحلت ودواء متى رضيت موت متى جفت وحياة متى دنت، فصورة الموت عند العاشق مرتبطة بالمسافة الفاصلة بينه وبين معشوقه.

ثالثاً:

موت الأخ

"إذا ما جئنا إلى رثاء الأخ وجدناه ضخماً جداً قياساً إلى الرثاء في موت الأب. والناظر إلى الرثاء في العصر الجاهلي فإنه سيجد ظاهرة فريدة من نوعها في آداب الأمم الأخرى بل في رثائنا العربي... وإنما وفرة رثاء الأخ الذي لو جُمع لملأ مجلدات ضخمة. وقد يشجعنا ذلك كله لكي نقول : أن الرثاء العربي هو رثاء الأخ قبل أي شيء وبعده، صدر عن الرجال والنساء معاً. حتى نجد أن من عرف بالنوح لم يكن إلا على الأخ مثل ، متمم بن نويرة، ولبيد بن ربيعة، ودريد بن الصمة ، وكعب بن سعد الغنوي ، والخنساء.... وآخرين غيرهم، ولم يخرج عن هذه القاعدة إلا قليل من الباكين أمثال أبي ذؤيب الهذلي الذي ناح على أولاده، فما علة هذه الضخامة لرثاء الأخ؟..."[٦٧]

وإن الأخ هو الأمل الذي يعقد عليه من قبل الأهل والأخوة في شد اليد على اليد. فهذا أربد بن ربيعة تحرقه صاعقة فيشجي موته أخاه لبيداً فيرثيه بكثير من القصائد انحصرت اكثرها فيه. ولم نجد من رثاء لبيد في غيره إلا بعض مقطوعات من الرجز في رثاء عمه ملاعب الأسنّة. ومن المقطوعات التي يرثي بها عمه يقول:[٦٨]

---

[٦٧] ينظر : الرثاء في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، حسين جمعة ، ص٥٢

[٦٨] شرح ديوان جميل بثينة :ابراهيم جزيني ،ج١، ص٣٣

قوما تَجوبانِ مَعَ الأَنواحِ في مَأتَمٍ مُهَجِّرِ الرَواحِ

يَخمِشنَ حُرَّ أَوجُهٍ صِحاحِ في السُلُبِ السودِ وَفي الأَمساحِ

وَأَبِنّا مُلاعِبَ الرِماحِ أَبا بَراءٍ مِدرَهَ الشِياحِ

ومما نذكره في رثاء أخيه أربد ،حيث قلبه يحترق وعينه تدمع. ومع ذلك تأتي كلماته صريحة واضحة قوية في صور رائعة ممتعة. وكلماته تدخل الى القلب وتسرع متلطفة بنا حيث يقول:[٦٩]

إنَّ الرَزِيَّةَ لا رَزِيَّةَ مِثلُها فِقدانُ كُلِّ أَخٍ كَضَوءِ الكَوكَبِ

ذَهَبَ الَّذينَ يُعاشُ في أَكنافِهِم وَبَقيتُ في خَلفٍ كَجِلدِ الأَجرَبِ

يَتَأَكَّلونَ مَغالَةً وَخِيانَةً وَيُعابُ قائِلُهُم وَإِن لَم يَشغَبِ

وَلَقَد أَراني تارَةً مِن جَعفَرٍ في مِثلِ غَيثِ الوابِلِ المُتَحَلَّبِ

ذهب الكرماء الأجواد وبقي هو متخلفاً يلبس جلداً أجرب في الحياة. وإذا كنا سنقف عند رثاء الخنساء ورثاء متمم بن نويرة من خلال البحث فإن رثائهما كان مبكياً حاراً يصدر من القلب عن حرقة وجفاف حلق، حتى غلب شعرهما على رثاء اخويهما. وسنقف هنا على رثاء الخرنق بنت بدر في أخيها طرفة بن العبد وكانت أخته لأمه، وغلب رثائها في أخيها بعد مقتله ، قالت حيث ترثي أخاها طرفة:[٧٠]

عَدَدنا لَهُ خَمساً وَعِشرينَ حجَّةً فَلَمّا تَوَفّاها اِستَوى سَيِّداً ضَخما

فُجِعنا بِهِ لَمّا اِنتَظَرنا إيابَهُ عَلى خَيرِ حالٍ لا وَليداً وَلا قَحما

إنها تؤكد على نبوغه وبلوغه السيادة في وقت مبكر، دون إخلال بذلك. وإذا تصبر الأخ فإنمت يتصبر حتى لا يشمت به عواذله مع انه يعرف مصابه العظيم بأخيه.

قال ابو خراش الهذلي يذكر أخاه عروة بن مرة :[٧١]

تَقولُ أَراهُ بَعدَ عُروَةَ لاهِياً وَذلِكَ رُزءٌ لَو عَلِمتِ جَليلُ

وَلا تَحسَبي أَنّي تَناسَيتُ عَهدَهُ وَلكِنَّ صَبري يا أُمَيمَ جَميلُ

[٦٩] شرح ديوان جميل بثينة :ابراهيم جزيني: ج٢ ص٣٤

[٧٠] جمهرة اشعار العرب ، ابو زيد محمد بن خطاب القرشي،نهضة مصر، ص٣٤

[٧١] ديوان الهذليين: ج٢ ص١١٦

فأبو الأخرش لا ينسى مصيبته بأخيه ولكنه يداوي حزنه. لإنه يعرف حقيقة الحياة، وسنة الكون، وأنه سيلحقه بعد زمن ويؤكد على ذلك فيقول:

أَلَم تَعلَمي أَن قَد تَفَرَّقَ قَبلَنا خَليلا صَفاءٍ مالِكٌ وعقيلُ

ويقر بهذه الحقيقة عمرو بن معد يكرب فيقول:[٧٢]

وكُلُّ أَخٍ مُفَارِقُهُ أخوهُ لَعَمرُ أَبيكَ إلّا الفرقدانِ

فالمصيبة حقاً كبيرة بفقد الأخ لأنه عديل الروح وصنو النفس فهو الطفل الذي نشأ في ملاعب الطفولة والصبا مع أخوته، فعاش حياتهم بآمالها وآلامها حتى اصبح حقيقة عديل الروح وصنو النفس.شاباً مليئا بالحيوية والنشاط.إن هذه الشجرة التي حدب عليها أهلها حتى بدأت بالأثمار يبست فجأة، وسقطت دون سابق إنذار، فأذا اصبح الأب شيخاً كبيراً أضحى الأخ الأكبر عماد البيت وصار سند الأسرة والقبيلة في غزوها وفي حروبها المعهودة.

[٧٢] ديوان عمرو بن معد يكرب: مجمع اللغة العربية بدمشق، ص ١٦٧

الفصل الثالث

الصورة الفنية لثنائية الحياة والموت

الفصل الثالث

الصورة الفنية لثنائية الحياة والموت

منذ القديم و الإنسان واقع في حيرة من عدة مشكلات، "و لم تكن مشكلة الانتماء أو الهوية إلا واحدة من المشكلات الكبرى و الكثيرة التي كانت تؤرق ضمير الشاعر القديم و عقله و تقض عليه مضجعه كمشكلة الموت و الفناء، و مشكلة الخلود و قد تكون مشكلة الموت من أعقد هذه المشكلات و أغمضها، فالموت تجربة فردية ذاتية"[٧٣].

و هذا ما جعل الشاعر الجاهلي يجسد هذا القلق و الحيرة في معظم أشعاره محاولا بذلك أن يجد حلاً لهذا اللغز ، و قد جسد شعراء العصر الجاهلي هذه الحيرة و الخوف في معظم اشعارهم ، فالشاعر إذا لم يذكر الموت بلفظه الصريح، نجده يكني عنه ، أو يرمز له أو يستعير بلفظ من ألفاظ حياته اليومية فقد رمز للموت بالطلل لأن كلاهما يجسد السكون الذي هو بدوره رمز من رموز الموت، أو رمز له بالليل الطويل لأن كلاهما يقلق الإنسان، فالليل تتجلى فيه هموم الإنسان و حيرته وخوفه وكيفية الهروب من الموت الذي لا يعلم ما مصيره بعده، أو كيف هي الحياة بعده.الصورة ((في أبسط معانيها رسم قوامه الكلمات))[٧٤] "ومصطلح الصورة مشتق من كلمة لاتينية تعني محاكاة، وهناك معان متقاربة ومترادفة مع هذا المعنى في مجال الاستعمال السيكولوجي، مثل التشابه النسخ، إعادة الإنتاج"[٧٥]، "وهي تركيب لغوي يصور معنى عقلياً أو عاطفياً متخيلا لوجود علاقة بين شيئين، وهي عنصر بالغ الأهمية في بنية النص الشعري، لاقت أهمية عند النقاد القدامى وعدوها ركنا مهما من الأركان الذي يبنى عليها الشعور، وهي أداة الشاعر في اكتشاف تجربته وفهمها، ليمنحها معناها العام فهناك بعض الحالات لا يُمكن فهمها أو يتجسيدها بدون الصورة فهي جوهر القصيدة الدائم والثابت "[٧٦] وتتطلب صناعة الصورة توافر عناصر الفكرة والعاطفة والخيال والأسلوب لتجميل المعنى وتحسينه، وذات الشاعر تتحقق موضوعياً في الصورة أكثر مما تتحقق في أي عنصر من عناصر البناء الشعري (٤) ، "فالأحاسيس أقرب إلى التعميم والتحري منها إلى التصوير، والتخصيص، لذلك تقود الصورة الشاعر لاستكشاف الشاعر تجربته بأبعادها المختلفة وتعد الصورة من أهم عناصر شعرية

---

[٧٣] ينظر : شعرنا القديم و النقد الحديد، وهب أحمد رومية عالم المعرفة، دط، الكويت، ١٩٩٦، ص ٢٦٧.
[٧٤] الصورة الشعرية، سيسل دي لويس تر: أحمد نصيف الجنابي دار الرشيد بغداد، ١٥، ١٩٨٢، ص ٢١
[٧٥] ينظر: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، جابر عصفور المركز الثقافي العربي، بيروت، ط ٣، ١٩٩٢، ص ٧.
[٧٦] ينظر: بلاغة الصورة الشعرية عند لسان الدين الخطيب قراءة في الشعر الاندلسي لمياء علي مجلة التاج دار التاجي للطباعة والنشر، بغداد، العدد (٩٥٢٧٣)، ٢٠١٨

القصيدة، ففيها تتجلى جودة الشاعر وأصالته، فهي الوسيط الفني الذي يُحقق التوازن بين المستوى المطلوب والمنجز"[٧٧].

وقد ابدع الشعراء القدامى في استلهام الصورة من بيئتهم وجعلها عماد تجربتهم الشعرية ولكي تحقق الصورة غايتها وتأخذ القارئ الى فضاء واسع جاء ارتباطها بالخيال وثيقاً فـ الإثارة التخيلية لا تكون عن طريق الصورة فحسب،

أولا

التشبيه:

هو فن من فنون البلاغة و وجه من وجوه البيان، و لون من ألوان الجمال يوضح المعاني و يؤكدها . فاصطلاحا فهو (الدلالة على مشاركة أمر الآخر في معنى مشترك بينهما أو أكثر بإحدى أدوات التشبيه المذكورة أو المقدرة المفهومة من سياق الكلام)[٧٨] أي أنه الاشتراك بين شيئين في صفة أو أكثر و للتشبيه أدوات كثير منها : الكاف و كأن و غيرها . و أركانه المشبه المشبه به ، أداة التشبيه ووجه الشبه وتتمثل بلاغته في توضيح المعاني و توكيدها و جعلها قريبة من العقول و الأفهام . و جعل الأساليب حسنة و جميلة (و هو الصورة التي يكونها خيال المبدع من خلال المماثلة بين أشياء اشتركت في صفات معينة)[٧٩] و يعرفه الروماني في كتابه خزانة الأدب و غاية الإرب بأنه : (العقد على أن أحد الشيئين يسد مسد الآخر في حال، و هذا هو التشبيه العام الذي يدخل تحته التشبيه البليغ هو إخراج الأغمض إلى الأوضح مع حسن التأليف)[٨٠] فالرماني يرى أن التشبيه هو وجود شيء يماثل شيء آخر في صفة. تستطيع من خلال تلك الصفة وضع أحد الشيئين في موضع الآخر دون أن يختل الوزن.

(و التشبيهات على ضروب مختلفة فمنها : تشبيه الشيء بالشيء صورة وهيئة ومنها تشبيهه به معنى ومنها تشبيهه به حركة و بطئا و سرعة أو لونا)[٨١] و معنى هذا أن التشبيه أنواع فمنها ما نشبه الصورة كتشبيه جمال عيون المرأة بعيون الغزال، أما للمعنى كتشبيه المعطاء بالبحر أو

---

[٧٧] ينظر في النقد التحليلي للقصيدة المعاصرة احمد درويش، ط١ ، دار الشروق القاهرة، ١٩٩٦ ، ص ١٢٧.

[٧٨] ينظر:في علوم البلاغة البيان المعاني البديع، البلسم الشافي ، فواز فتح الله الراميني، دار الكتاب الجامعي، ط١ ٤٠ العين الإمارات، ٢٠٠٩، ص

[٧٩] الاغتراب في الشعر العربي في القرن ٧هـ دراسة اجتماعية نفسية، أحمد على الفلاحي، دار غيدا، ط١، عمان ٢٦٨ ن ٢٠١٣، ص

[٨٠] خزانة الأدب وغاية الأرب بكر علي شرح عصام شعيتوا دار و مكتبة الهلال، ج١، الطبعة الأخيرة، بيروت ٣٧٤لبنان ٢٠٠٠، ص

[٨١] عيار الشعر ، ابن طباطبا العلوي ، تح محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف ، ٣ ، الإسكندرية ، مصر ، ١٩٨٤ ، ص ١٠

الشجاع بالأسد. و التشبه للحركة و البطء و السرعة كتشبيه الحصان السريع بسرعة الريح . و قد شبه الحارث بن حلزة الموت في معلقته بالجبل في قوله[٨٢]:

وَكأَنَّ المَنونَ تَردِي بِنا أَر عَنَ جَوناً يَنجابُ عَنهُ العَماءُ

فالشاعر هنا يقول: إن هذا الجبل لا يبلغه السحاب لشدة لطوله و هو إن بلغه انشق حاوليه و أطلق عليه لفظ الأرعن والشاعر في البيت شبه الموت بهذا الجبل الأسود الذي يشق السحاب الأبيض مثلما تشق الموت أعمار الناس و وجه الشبه هنا أن الموت تغتال النفوس و الحياة التي يلونها كل فرد بأحلامه فتأتي الموت و تشق هذه الحياة وتجعل أحلام الأفراد الموتى مجرد آثار سوداء لأنها لم تحقق أما عن أدوات التشبيه فتتمثل في كأن حرف التشبيه و المشبه : الموت التي أطلقت عليها لفظ المنون و المشبه به الجبل الأرعن و قد عقد طرفة بن العبد تشبيها بين الموت و الدابة في قوله:[٨٣]

لَعَمْرُكَ إنَّ المَوتَ مَا أَخْطَأَ الفَتَـى كَالطِّوَلِ المُرْخَى وثِنْيَاهُ بِاليَـد

فقد شبه طرفة الموت في حالة عدم مجيئه بحبل الدابة الذي يمسكه صاحبها . فإنه وإن أرخاه أحيانا فإن ذلك لا يعني أنه يغفل عنه . كذلك الموت فهي إن لم تصب أحد منا فهذا لا يعني أنها نسيه بل سوف يأتيه دوره حسب أجله. و عن أركان هذا التشبيه (فالموت ما أخطأ الفتى المشبه) و الطول المرخى و ثناياه باليد أي الحبل المشبه به حرف التشبيه (الكاف) . وجه الشبه عدم إغفال الموت للفرد كعدم إغفال صاحب الدابة للدابة ،فالموت يمسك بحياة الناس كصاحب الدابة يطيل لها الحبل فتسرح وتمرح، حرة ناسية أن طرفه الآخر بيده مهما شاء قصر منه . كما شبه الموت في حال مجيئه بحالة جذب الحبل و التحكم له في عنق الدابة في قوله:

متى ما يشأ يومًا يقده لحتفه ومن يك في حبل المنية ينقد[٨٤]

فهنا طرفة علق هذا البيت بالبيت إلى قبله (فالموت يمسك بطرف الحبل، و الإنسان مربوط بالطرف الآخر متى يشأ الموت شد الحبل و سحب الإنسان المربوط به فقاده إلى الهلاك و ليس للإنسان أن يعترض)[٨٥] و أركان التشبيه في هذه الصورة تتمثل في الموت في حال مجيئه المشبه (متى ما يشاء يوما يقده لحتفه) (حالة جذب الحبل والتحكم به في عنق الدابة المشبه به). فالموت يتحكم في حياة الناس مثلما يتحكم صاحب الدابة بها.

---

[٨٢] ديوان الحارث بن حلزة ، تح إميل بديع يعقوب دار الكتاب العربي ١ ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٤ ، ص ٢٥
[٨٣] ديوان طرفة بن العبد ، عبد الرحمان المصطاوي دار المعرفة ١ بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٣، ص ٣٤
[٨٤] ديوان طرفة بن العبد، عبد الرحمان، المرجع السابق، ص ٣٤.
[٨٥] ينظر : شرح ديوان طرفة بن العبد شرح سعدي الضناوي، دار الكتاب العربي دط، بيروت، لبنان ،٢٠٠٤،ص١٠٩

ثانياً

الإستعارة:

هي وجه من أوجه البلاغة و يعرفها الرماني بأنها (تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على سبيل النقل) أي أك تضع عبارة في غير معناها الحقيقي أي مجازا و وبهذا تعرف الاستعارة بأنها تشبيه حذف أحد طرفيه العلاقة للمشابهة . و خلاصة هذا أن الاستعارة : تشبيه حذف أحد طرفيه ، إما المشبه أو المشبه به. و الاستعارة نوعان : استعارة تصريحية و مكنية فالتصريحية هي: ما صرح فيها بلفظ المشبه به، و مكنية و هي ما حذف فيها المشبه به و رمز له بشيء من لوازمه. و يكمن سر بلاغة الاستعارة في ابتكار معنى جديد و روعة الخيال و تحدث أثرا في نفس الملتقى أما عن أركانها فهي ثلاثة أركان : المستعار و المستعار له و المستعارمنه. و يقول عنها صاحب العمدة : الاستعارة أفضل المجاز و أول أبواب البديع . و ليس في حلي الشعر أعجب منها. فابن رشيق جعل من الاستعارة أحسن أنواع البيان قلنا فيما سبق أن الاستعارة نوعين : تصريحية و مكنية و من أمثلة الاستعارة المكنية نجد قول لبيد بن ربيعة العامري:

صادفن منها غرة، فأصبنها إلى المنايا لا تطيش سهامها[٨٦]

(إن المنايا لا تطيش سهامها)استعارة مكنية، إذ جعل فيها المنايا كالإنسان لها روح وجسد وحركة وتستعمل السهام لدى هجومها على الكائنات الحية، (و هي لا تخطئ هدفها و لا يعيقها شيء عن تحقيق مراده) فلفظة المنايا هي الدال و الهجوم بالسهام صفة من صفات الإنسان . و لكن الشاعر حذف الإنسان وترك لازم من لوازم الإصابة بالسهام على سبيل الاستعارة المكنية وبلاغة الاستعارة تتمثل في دقة التصوير في الإصابة، فالشاعر جعلنا ندرك أن الموت لا يخطئ أبدا فمن رمى فيه سهامه لن ينجو . أما طرفة الذي كان هاجس الموت ظاهرا جليا في معلقته فقد استعار له صفة الشخص المختال في قوله:

لَعَمرُكَ ما أَدري وَإِنّي لأَوجَلُ عَلى أَيِّنا تَغدو المَنِيَةِ أَوَّلُ

فالشاعر صور الموت بالشخص المختال لحركة فريسته في جو الصحراء فالموت مرتبط بالإنسان يمكن أن يفاجئه في كل لحظة . فالإنسان لا يعرف متى يفاجئها الموت . و في هذا البيت حذف الشاعر المشبه به على سبيل الاستعارة المكنية الإنسان وترك المشبه وهو الموت وبلاغتها

[٨٦] شرح المعلقات العشر للشنقيطي ، أحمد أحمد شتيوي ، ص ٩٤.

تتمثل في تصويرها لمفاجئة الموت للإنسان تصوير دقيق ، حيث تجعل المتلقي يدرك أن ليس للموت لا زمان ولا مكان ، فالكل في عرف الموت سواء.كذلك نجد قوله:

أَرَىَ الْمَوْتَ يعتامُ الكرَامَ ويَصْطَفِي عَقيلَةَ مالِ الفاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ

هنا شبه الشاعر الموت بالإنسان الذي يختار و ينتقي أفضل الأشياء و يقتنيها . و لكنه حذف المشبه به الذي هو الإنسان) و ترك لازمة من لوازمه و هي صفة الاختيار والانتقاء على سبيل الاستعارة المكنية . فالشاعر هنا يقول : أن الموت يختار الكرام بالإفناء ، ويترك البخيل ، ففي اختياره هذا شبهه بالإنسان. وبلاغة الاستعارة في هذا البيت تتمثل في تصوير نظرة الشاعر للموت ، فهو يرى أن الموت يختار الناس الكرماء. أما زهير بن أبي سلمى فقد استعار للموت صفة من صفات الناقة في قوله:[٨٧]

رأَيْتُ المَنَايَا خَبْطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِبْ تُمِـتْهُ وَمَنْ تُخْطِىء يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ

فقد شبه الموت بالناقة التي تعشو أي لا تقصد، فمن أصابته قتلته، فلفظة عشواء تعني على غير بصر فيقول : أن المنايا من اتقاها لقيته، و من أصابته قتلته" فالمنايا تأتي على غير قصد، أي : تأتي على غير بصر و من أخطاته عاش و هرم[٨٨]،(و هنا الشاعر حذف المشبه به (الناقة) و ترك لازم من لوازمه خبط عشواء على سبيل الاستعارة المكنية، فالموت تصيب الناس بدون اختيار كما تفعل الناقة العشواء " التي تطأ على غير بصيرة) [٨٩]. و هذا وجه الشبه بينهما، فالناقة التي لا تبصر تطأ الأرض بأخفاقها على غير هدى فمن أصابته قتلته و من لم تصبه عاش، هكذا هي حال الموت من لحق أجله أصابته، و من لم تصبه فلا نجاة له منها و يومه آت لا ريب فيه. وهنا الشاعر صور لنا حال مجيء الموت تصويرا دقيقا مفاده أن لا أحد ناجي منه مهما طال عمره.

---

[٨٧] ديون زهير بن أبي سلمى، شرحه حمدو طماس دار المعرفة، ط٢، بيروت لبنان، ٢٠٠٥، ص ٧٠.
[٨٨] شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، أبي العباس ثعلب قدم له حنا نصر الحي، دار الكتاب العربي، دط، بيروت لبنان، ٢٠٠٤، ص٤٩
[٨٩] شرح المعلقات العشر للشنقيطي، أحمد أحمد شتيوي، المرجع السابق، ص ٧٤.

ثالثاً

الكناية:

تعرف الكناية في اللغة بأنها " مصدر قولك كيت بكذا عن كذا و كنوت إذا تركت التصريح به "[٩٠] أي أنك تتكلم بشيء و أنت تريد شيئا آخر أو هي جملة لها معنيان معنى قريب غير مقصود ومعنى بعيد وهو المقصود.

و في المعنى الاصطلاحي : تعرف بأنها : اللفظ الذي يراد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى الكناية .[٩١] و خلاصة القول أن أو هي (ستر المقصود وراء لفظ أوعبارة أو تركيب)[٩٢] هي أن المتكلم قد يريد إفادة معنى من المعاني فلا يذكره مباشره بلفظة الصريح بل يذكره بلفظ يدل على معنى من شأنه أن يكون متبوعا في التعقل والفهم للمعنى المراد. وأقسام الكناية ثلاثة باعتبار المكنى عنه و هي كناية عن صفة و قد عرفها الثعالبي في كتابه الكناية و التعريض بقوله: (هي التي يصرح بالموصوف و بالنسبة إليه و لا يصرح بالصفة المطلوب نسبتها و إثباتها، و لكن يذكر مكانها صفة تستلزمها)[٩٣] . أي؛ هي أن تكنى على الصفة التي تريد قولها وبالمقابل تصرح بالموصوف النسبة في الجملة . كقولك : إني نضيف اليد فالمقصود منها العفة والأمانة. أما الكناية عن الموصوف فقد عرفها ب :(هي التي يصرح فيها بالصفة و بالنسبة ولا يصرح بالموصوف المطلوب النسبة إليه . ولكن يذكر مكانه صفة أو أوصاف تختص به)[٩٤] . ومثال ذلك : فأصبر لحكم ربك ، ولا تكن كصاحب الحوت ، كناية عن سيدنا يونس. أما الكناية عن النسبة فهي (أن يصرح فيها بالصفة و الموصوف، و لا يصرح بالنسبة التي بينهما و لكن يذكر مكانها نسبة أخرى تدل عليها)[٩٥] أي أن يذكر الشاعر الصفة و الموصوف لكنه لا يذكر النسبه بينهما بل يكني عليها بنسبة أخرى و لكن تدل عليه مثل الكرم ملء ثوبك ، كناية عن مدى الكرم. (و بلاغة

---

[٩٠] علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع ، أمين أبوليل، دار البركة، ط١، عمان، الأردن، ٢٠٠٦، ص ٢٠١.
[٩١] البلاغة الواضحة، علي الجارم، مصطفى الأمين، المرجع السابق ، ص ١١٠
[٩٢] البلسم الشافي في علوم البلاغة: البيان و المعاني والبديع، فواز فتح الله الراميني ، المرجع السابق، ص ١٠٥
[٩٣] الكناية والتعريض أبي منصور الثعالبي ، تح : عائشة حين فريد دار قباء ، (دط) ، القاهرة ، مصر ، ١٩٩٨، ص ٢٥.
[٩٤] الكناية والتعرض أبي منصور الثعالبي ، تح : عائشة حين فريد ، المرجع السابق، ص ٣١
[٩٥] المرجع نفسه ، ص ٣٦

الكناية تكمن في أنها تضع لك المعاني في صور المحسسات ، و إبرازها بصورة ترتاح لها النفس)[٩٦]. ولكي يدرك التلقي الكناية يحتاج إلى ذكاء وفطنة. ومهما تعددت تعريفات الكناية نجدها تتفق جميعا في الدلالة على خفاء المعنى ، أو التعبير عنه بطريقة غير مباشرة. ونجد الكناية في قول الحارث بن حلزة :[٩٧]

وَثَمانونَ مَن تَميمٍ بِأيدي هم رِماحٌ صُدُورُهُنَّ القَضاءُ

الشاعر في هذا البيت يعير بني تغلب بانكساراتهم فيقول : غزاكم ثمانون رجلا من تميم بأيديهم رماح ترشح بالموت ولكنا نجد الشاعر لم يصرح بلفظ الموت مباشرة وكنى عنه برماح صدورهن القضاء وهاته كناية عن موصوف ألا وهو الموت. أما شاعر التأمل والحكمة فنجده في بيته هذا كنى عن الموت بالعطر فقال:[٩٨]

تَدَارَكْتُمَا عَبْسًا وَذُبْيَانَ بَعْدَمَا تَفَانَوْا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشَمِ

الشاعر هنا يقول تداركتما القبيلتان بعدما صمو على الموت ، ولكنه لم يصرح بلفظ الموت مباشرة بل كني عنه بعطر منشم . وفي هذا البيت كناية عن صفة ، فعطر منشم كناية عن التصميم على الموت. وجمال الصورة في تحالف الأيدي لأن القوة تكمن في الإتحاد " ويقال أن منشم اسم يطلق الشدة الحرب ، أو هو اسم امرأة عطارة تحالف قوم على عطرها ليتحرموا به، فخرجوا للحرب فقتلو جميعا فتشاءمت العرب منه"[٩٩] كذلك نجد الكناية في قوله :[١٠٠]

فَشَدَّ فَلَمْ يُفْزِعْ بُيُوتاً كَثِيرَةً لَدَى حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَهَا أُمُّ قَشْعَمِ

ومعنى قوله أنه حمل في الحرب وأكثر القوم لا يعلمون . وتكمن الكناية في هذا البيت في قول الشاعر : أم قشعم وهي كناية عن موصوف ألا وهو الموت .

ويقول عنها مصطفى صادق الرفاعي " قد أجراها الظرفاء على الحذف فيقولون إلى حيث ألقت لمن يودعون وجهه ويستقبلون قفاه "[١٠١] . وفي هذا البيت نجد الشاعر لم يذكر الموت مباشر بل كنى عنه ونجد طرفة بن العبد يقول[١٠٢]:

وَلَوْلَا ثَلَاثٌ هُنّ من عيشَة الفَتى وَجَدِّكَ لم أحفِلْ متى قامَ عُوّدي

---

[٩٦] الواضح في البلاغة : البيان والمعاني والبديع ، أحمد السيد دار جرير ، ط ١ ، عمان ، الأردن ، ٢٠١٠ ، ص٢٠٦.
[٩٧] شرح المعلقات العشر للشنقيطي ، أحمد أحمد شتيوي ، المرجع السابق ، ص ١٦٣
[٩٨] ديوان زهير بن أبي سلمى حمدو طماس، المرجع السابق، ص ٦٩.
[٩٩] شرح المعلقات العشر للشنقيطي ، أحمد أحمد شتيوي ، المرجع السابق ، ص ٩٦
[١٠٠] ديوان زهير بن ابي سلمى ،المرجع السابق ص٦٩
[١٠١] تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرفاعي، ج ٣، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠، ص ١٨٨.
[١٠٢] ديوان طرفة بن العبد: المرجع السابق:ص٣٣

هنا الشاعر يقسم أنه غير مبالي بأجله مادام سوف يأتي يوما ويموت ، فهو لا يتردد في إغاثة الناس ولا يهاب الموت ، فالحياة فانية لن يخلد فيها أحد علام يهاب الموت إذا. وفي هذا البيت كناية عن موصوف ألا وهو الموت.

الخاتمة

وبعد هذه المسيرة التي فحصت فيها ثنائية الحياة والموت في الشعر الجاهلي يمكننا ان نخرج بنتائج عدةٍ يمكن أجمالها بالآتي:

١- أن الإنسان الجاهلي- بالعموم- و الشاعر الجاهلي-بالخصوص- رغم حبه للحياة والتلذذ بحلاوتها ألا انه عندما يفقد الآخر يفقد ذاته فيه فتجده يشعر بالوحدة والغربة والحزن وفقدان الثقة في الحياة.

٢- تمثل حب الحياة لدى الشاعر الجاهلي في اللهو والمجون والخمرة حيث زادت هذه الأشياء من تعلق الشاعر بالحياة وشغفه بها.

٣- أخذ الموت جانباً كبيراً من حياة الإنسان الجاهلي وذلك بسبب بيئته الصحراوية ، حيث صعوبة الحياة والتفاف الخطر عليه من كل جانب ،وكثرة الحروب والغزوات ، وهذه الأمور جعلت ذكر الموت خليلاً لا يفارقه طيلة حياته.

٤- إن الجاهلي كان صبوراً على إغتنام ملذات الحياة ، دائم الحركة والنشاط ، يتنقل من مكان إلى آخر باحثاً عن ما يجعله مستمراً في حياته ، يجابه الحياة بكل ما يستطيع من قوة ليحصل على غايته فيها.

٥- يتناقض الشاعر الجاهلي في الحياة بين الخوف المتمثل بالموت ، وبين الحب المتمثل بالحياة ، حيث يدور الصراع بين الخوف والحب.

٦- إرتبطت جدلية الحياة والموت في رؤيا الشاعر الجاهلي وكالنت من الموضوعات الحاضرة في مواضيع شعره وقصائده حيث برزت في ثنايا قصائده وهو يواجه التحديات المخلفة في الحياة من الحروب والبيئة الصحراوية وكانت مثل العدو الذي يتربص به ، حيث عبر الشاعر عن الأحداث التي تحيط به ، ولم تكن رؤية الشاعر الجاهلي منغلقه بل على العكس بأنها كانت واسعة متنوعة الجوانب ومركز إهتمامها هو الإنسان.

٧- الشاعر الجاهلي كان مدركاً لحتمية الموت ، حيث كان على يقين راسخ بأن الموت هو النهاية لكل شيء ، ولا يمكن لأحد ان ينجو منها، حتى أن بعضهم استسلم لهذه النهاية وعجز.

٨- لم يعترف الإنسان الجاهلي -على الأغلب- بالبعث لإنه يرى بإن الموت هو النهاية لكل شيء وأن البعث والحساب شيء غير معقول، ولكن بعض الشعراء اقروا بالبعث أمثال زهير بن أبي سلمى والأعشى وأمية بن أبي الصلت وغيرهم ...حيث كان الأخير يؤمن بالثواب والعقاب والجنة والنار وذلك بسبب شكه في عبادة قومه

٩- أتخذ الموت في الشعر الجاهلي أشكالاً متعددة، بعضهم أخذ قصائد كاملة في الحديث عن قصة الموت وبعضهم استخدم عدة ابيات معدودات على شكل حكم ومواعظ .

١٠- كثرة رثاء الأخ في القصائد الجاهلية ظاهرة فريدة في الأدب الجاهلي، وذلك لأهمية مكانة الأخ في المجتمع الجاهلي.

١١- الشاعر الجاهلي قد يلجأ الى ذكر الموت ليس بمعناه الصريح ، لكنه يكني عنه أو يرمز له أو يستعير بلفظ من ألفاظ حياته اليومية ، فقد رمز للموت بالطلل أو الليل الطويل.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

١. أبو ذؤيب الهذلي حياته وشعره، نورة الشملان ، عمادة شؤون المكتبات جامعة الرياض ، المملكة العربية السعودية
٢. أعلام النساء في عالمي العرب عمر رضا كحالة،مؤسسة الرسالة ،ج١
٣. الأغاني لأبي فرج الأصفهاني ، تح علي نجدي ناصف ، ج٢٠، الهيئة االمصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٣
٤. الإغتراب في الشعر العربي في القرن ال٧ه دراسة اجتماعية نفسية، أحمد علب الفلاحي، دار غيدا،ط١،عمان٢٦٨ن٢٠١٣
٥. الإنسان والزمان في الشعر الجاهلي ، حسني عبد الجليل يوسف ،جامعة الأنبار ،١٩٨٨
٦. أيام العرب في الجاهلية ، محمد أحمد جاد المولى علي محمد البجاوي ،المكتبة العصرية بيروت
٧. بلاغة الصورة الشعرية عند لسان الدين الخطيب،قراءة في الشعر الأندلسي، لمياء علي، مجلة التاج ، دار التاجي للطباعة والنشر، بغداد ، العدد ٢٠١٨،٩٥٢٧٣
٨. البلاغة الواضحة البيان المعاني البديع ، لعلي جارم و مصطفى الأمين، دار المعارف،٢٠٠٥
٩. البلسم الشافي في علوم البلاغة: البيان والمعاني والبديع، فواز فتح الله الراميني،دار الكتاب الجامعي
١٠. تاريخ آداب العرب ، مصطفى صادق الرفاعي، ج٣، دار الكتب العلمية، ط١،بيروت لبنان،٢٠٠٠
١١. تجليات الحياة والموت في الشعر الجاهلي ، محمد فواز ، رابطة الأدب الحديث بحوث ومقالات ، ٢٠٠٦
١٢. التعريفات ،علي بن محمد الشريف الجرجاني، تح محمد عبد الرحمن المرعشي ،دار النفائس
١٣. الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي : أحمد البردوني وأبراهيم أطفيش، دار الكتاب المصرية، القاهرة، ط٢ ، ١٩٦٤

١٤. جدلية الحياة والموت في الشعر الجاهلي ، محمد فواز، رابطة الأدب الحديث ، بحوث ومقالات ، ٢٠٠٦

١٥. جمهرة اشعار العرب ، ابو زيد محمد بن خطاب القرشي ، نهضة مصر

١٦. خزانة الأدب وغاية الأرب، بكر علي ،شرح عصام شعيتوا دار ومكتبة الهلال،ج١، الطبعة الأخيرة، بيروت لبنان ،٢٠٠٠

١٧. الخوف في الشعر العربي قبل الإسلام ، جليل حسن محمد ، دار دجلة ، ط٢ ، الأردن عمان ، ٢٠٠٩

١٨. ديوان ابو العتاهية،دار بيروت للطباعة والنشر،١٩٩٦

١٩. ديوان ابي تمام عبد الحميد يونس وعبد الفتاح مصطفى ، مكتبة محمد علي صبيح ،ميدان الأزهر ، مصر

٢٠. ديوان الأسود بن يعفر ، صنعه نوري حمودي القيسي، وزارة الثقافة والإعلام ، العراق ، بغداد ،١٩٧٠

٢١. ديوان الأعشى الكبير ، ميمون بن قيس ،ش الدكتور محمد حسين ، المطبعة النموذجية

٢٢. ديوان الحارث بن حلزة،تح إميل بديع يعقوب ،دار الكتاب العربي١، بيروت ، لبنان،٢٠٠٤

٢٣. ديوان الهذليين ، ج٢ ، دار العروبة للطباعة والنشر، ١٩٩٥

٢٤. ديوان جميل بثينة، دار صادر، بيروت لبنان

٢٥. ديوان زهير بن ابي سلمى ، ش حمدو طماس ، دار المعرفة،ط٢،بيروت لبنان ،٢٠٠٥

٢٦. ديوان زهير بن أبي سلمى ، شرحه علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان

٢٧. ديوان طرفة بن العبد، ش محمد مهدي ناصر الدين ، دار الكتاب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٢

٢٨. ديوان طرفة بن العبد، عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت لبنان

٢٩. ديوان عدي بن زيد، تح محمد جبار المعيبد ، دار الجمهورية للطباعة والنشر ، بغداد ، ١٩٦٥

٣٠. ديوان عمرو بن كلثوم ، حقق د يعقوب ، دار الكتاب العربي ، ط٢ بيروت لبنان، ١٩٩١
٣١. ديوان عمرو بن معد يكرب : مجمع اللغة العربية بدمشق
٣٢. ديوان قيس بن الملوح ، تحقيق يسرى عبد الغني ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط١ ، ١٩٩٩
٣٣. ديوان كعب بن سعد الغنوي، تح الأستاذ علي فاعرو، دار الكتب العربية ، بيروت لبنان
٣٤. رسالة رثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام ، حسين جمعة ، ت عمر موسى باشا ،جامعة دمشق ، سوريا، ١٤٠٢ه
٣٥. روح العصر دراسات نقدية في الشعر والمسرح والقصة ، عز الدين اسماعيل ، دار الرائد العربي ، ١٩٧٨
٣٦. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لأبن هشام المحقق: عمر عبد السلام السلامي ، دار احياء التراث العربي، بيروت ، لبنان، ط١ ، ٢٠٠٠
٣٧. شاعرات العرب، عبد الله البديع صقر،المكتب الإسلامي للطباعة والنشر،١٩٨٩
٣٨. شرح المعلقات السبع الطوال الجاهليات ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف، القاهرة ،ط ٣٧٤، ١٩٦٣
٣٩. شرح المعلقات العشر وأخبارها وأشعارها ، للشيخ أحمد الأمين الشنقيطي، تح محمد عبد القادر الفاضلي ، المكتبة العصرية ، بيروت لبنان
٤٠. شرح ديوان أمرؤ القيس، ش أسامة صلاح الدين ، تح حسن السندوبي، دار إحياء العلوم ، بيروت ، لبنان، ١٩٩٠
٤١. شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، لعبد الرحمن البرقوقي ،المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ،١٩٢٩
٤٢. شرح ديوان زهير بن ابي سلمى ، أبي عباس ثعلب، قدم له حنا نصر الحي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان ، ٢٠٠٤
٤٣. شرح ديوان طرفة بن العبد، سعدي الضناوي، دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان،٢٠٠٤
٤٤. الشعر الجاهلي ، محمد النويهي ،الدار القومية للطباعة والنشر ، مصر ، القاهرة
٤٥. شعر الطبيعة في الأدب العربي ، سيد نوفل السيد محمد علي, مطبعة مصر،١٩٤٥

٤٦. شعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، الدكتور يوسف خليف ، دار المعارف
٤٧. شعرنا القديم والنقد الحديث: وهاب أحمد رومية عالم المعرفة،دط، الكويت، ١٩٩٦
٤٨. الصعلكة والفتوه في الإسلام ، أحمد أمين ،مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة ، جمهورية مصر العربية
٤٩. الصورة الشعرية، سيسل دي لويس تر: أحمد نصيف الجنابي،دار الرشيد بغداد ١٥،١٩٨٢،
٥٠. الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ،جبار عصفور، المركز الثقافي العربي ، ١٩٩٢
٥١. الصورة الفنية في النقد الشعري، عبد القادر الرباعي،دار جرير ،السعودية،٢٠٠٩
٥٢. العقد الفريد ، أحمد بن محمد إبن عبد ربه ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة،ج٢
٥٣. علوم البلاغة البيان المعاني البديع، البلسم الشافي، فواز فتح الله الرميني، دار الكتاب الجامعي،ط١، العين الإمارات،٢٠٠٩
٥٤. علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، أمين أبوليل، دار البركة،ط١، عمان، الأردن،٢٠٠٦
٥٥. عيار الشعر، ابن طباطبا العلوي، تح محمد زغلول سلام، منشأة المعارف،٣،الإسكندرية، مصر،١٩٨٤
٥٦. في النقد التحليلي للقصيدة المعاصرة: احمد درويش،ط١،دار الشروق القاهرة ١٩٩٦،
٥٧. القاموس المحيط : مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى،مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان،٢٠٠٥
٥٨. قضايا الشعر ، إبراهيم عبد الرحمن محمد ، مكاتبة شباب القاهرة
٥٩. القيم الجمالية في الشعر الأندلسي : عصري الخلافة والطوائف ، آزاد محمد كريم الباحلاني ، دار غيداء ، ط١ ، عمان الأردن ،٢٠١٣
٦٠. الكامل في اللغة و الأدب ، لمحمد بن يزيد المبرد ،تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي ، القاهرة
٦١. كتاب شرح اشعار الهذليين ، لأبي سعيد الحسن السكري، تحقيق عبد الستار فرج

٦٢. الكناية والتعويض، أبي منصور الثعالبي، تح عائشة حين فريد ، دار قباء، مصر ، القاهرة،١٩٩٨
٦٣. لسان العرب ، لإبن منظور الانصاري ، تح عامر أحمد حيدر ،
٦٤. المثال والتحول ، آراء ودراسات في شعر المتنبي وحياته، الخياط جلال ، وزارة الإعلام ، بغداد
٦٥. المحبر: أبي جعفر البغدادي ، ايزلة ليختن شتيتر ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت مراجعة عبد المنعم خليل إبراهيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان
٦٦. المرشد الى فهم اشعار العرب ، عبد الله الطيب المجذوب،مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٩
٦٧. مشكلة الحياة ، زكريا إبراهيم، دار مصر للطباعة
٦٨. معادلة الحياة والموت موضوعا شعريا ، ليلى عبد الحميد الهنداوي
٦٩. المفضل في تاريخ العرب قبل الاسلام، الدكتور جواد علي ، ج١١ ، دار الساقي
٧٠. المقابسات : التوحيدي ابو حيان، تح : حسن السندوبي ، ط١ ، ١٩٢٩
٧١. مقدمة ابن خلدون ، تح المستشرق الفرنسي كانرمير ، طبعة باريس ، ١٨٥٨، مكتبة لبنان
٧٢. مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي ، حسين عطوان، دار المعارف ، مصر
٧٣. الموت في الشعر العربي ، محمد عبد السلام ، مراجعة حمادي صمود، معهد تونس للترجمة، ٢٠١٧
٧٤. الموت في الفكر الغربي ، جاك ، ترجمة كامل يوسف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٠
٧٥. ميزان الحكمة ، محمد الريشهري /ج٢
٧٦. الواضح في البلاغة: البيان والمعاني والبديع، أحمد السيد، دار جرير،ط١ ، عمان الأردن،٢٠١٠
٧٧. الوحشيات ، أبو تمام حبيب بن أوس الطائي ، تحقيق عبد العزيز الميمني، دار المعارف ، مصر ، ط٢، ١٩٦٣
٧٨. الوعي والفن ، يغوري غاتشف ، ترجمة نوفل نيوف ، مراجعة د. سعاد مصلوح ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٩٠